رسالة الإمام مالك بن أنس
في آداب الدنيا والدين
إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد

الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري (*)

مقدمة

" الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين " (1) .

والصلاة والسلام على من دعا ربه فقال : " اللهم كما حسنت لي خلقي فحسن خلقي " (2) . اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ماتبلغنا به جنتك ، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ، اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا ، وقواتنا ما أحييتنا ، واجعله الوارث منا ، واجعل ثأرنا على من ظلمنا ، وانصرنا على من عادانا ، ولا تجعل مصيبتنا في ديننا ، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ، ولا مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا "(1) .وعلى آله

(*) عضو هيئة التدريس في جامعة الجزائر سابقا .

(1) سورة الفاتحة

(2) رواه الإمام أحمد ، عن عبد الله بن مسعود .

مبلغ علمنا ، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا "(1) .وعلى آله وأصحابه ذوي السيرة الحميدة والخلق الحسن ، وعلى جميع من اقتدى بهم في كل زمان وفي كل وطن .

وبعد : فهذه رسالة منسوبة إلى إمام دار الهجرة مالك بن أنس ، رضي الله عنه ، وهي صغيرة الحجم ، عظيمة الفائدة ، قليلة اللفظ ، كثيرة المعنى ، سهلة الفهم ، سَلسة الأسلوب ، مليئة بالحكمة والأدب ، رائدة لمن طلب سعادة الدنيا ، ونعيم الآخرة ، فمن عمل بمقتضاها فقد أرضى ربه ، وأدب نفسه ، وحاز مكانا مرموقا بين الناس في السراء والضراء زمانا ومكانا .

والله أرجو أن ينفع بها كاتبها وقارئها وسامعها ، وجميع من تفهم معانيها ، وتدبر محتواها في الحل والترحال ، " وما ذلك على الله بعزيز " (2) .

---

(1) رواه الترمذي والحاكم عن عبد الله بن عمر .

(2) سورة " إبراهيم " الآية 20 .

مالك بن أنس

نسبه ، مولده ، نشأته ، شيوخه ، تلامذته ، تدريسه ، مؤلفاته ، أقواله ، عاداته ، صفاته ، أخلاقه .

مالك والعلماء ، شهادة العلماء له ، مالك والحكام ، محنته ، أسرته ، وفاته .

نسبه : هو مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي الحميري ، القرشي ، قدم أحد أجداده من اليمن إلى المدينة فسكنها ، وكان جده أبو عامر من أصحاب رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وقد شهد معه جميع الغزوات إلا غزوة بدر الكبرى ، وأم مالك اسمها الغالبة بنت شريك بن عبد الرحمن بن شريك الأزدية .

مولده : ولد مالك سنة 93 هـ 712 م بمكان يسمى "ذو المروة " يقع شمال المدينة ثم انتقل مع أسرته إلى " العقيق" ثم نزل بالمدينة حيث استقر حتى وفاته . وكانت أمه حملت به ثلاث سنوات .

نشأته : نشأ مالك بين أحضان أسرته التي كانت تشتغل برواية الأحاديث النبوية والفتيا الفقهية ، فبدأ يحفظ القرآن ، ثم شرع في حفظ الحديث الشريف وكان قوي الذاكرة في حفظه لكل ما يمر بعينيه أو يسمعه بأذنيه ، وقد كان أول حياته ميالا إلى الغناء راغبا في تعلمه ومهنته ، فصرفته أمه عنه ،

ونصحته بتعلم الفقه وحفظ الحديث ، فانتصح وامتثل أمرها ، فأصبح فيهما إماما خالدا ، وكان مالك فقير الحال ، فارغ اليد ولما بلغ الحلم أخذ راتبا زهيدا من المال ، كما كنت العادة جارية في ذلك الزمان ، والمكان ، واستمر به الفقر حتى أبكى الجوع ابنته فاطمة ، بل حتى باع خشب سقف بيته ، قال تلميذه عبد الرحمن بن القاسم : " أفضى بمالك طلب العلم إلى أن نقض سقف بيته ، فباع خشبه " ثم أقبلت عليه الدنيا فأيسر وأثرى وحسن حاله بهدايا الدينار والدرهم ، وأرباح التجارة الرائجة ، ولم يكن مالك يباشر عمل التجارة بنفسه ، بل كان يضع ماله في التجارة ويقتسم معهم الأرباح عن طريق " المضاربة " المقررة في الفقه الإسلامي .

شيخوخته : أخذ مالك العلم عن تسعمائة شيخ : ثلاثمائة من التابعين ، وستمائة من تابعي التابعين ، ممن ارتضاهم لدينهم واختارهم لعلمهم ووثق بهم ، وقدمهم على غيرهم ، لقيامهم بحق الرواية والدارية ، وشروطهما العقلية والشرعية .

ومن مشائخه عبد الرحمن بن هرمز الأعرج الذي انقطع إليه ولازمه سبع سنوات أو يزيد ، لم يخلطه بغيره ، ومنهم ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ ، المعروف بـ " ربيعة الرأي " الذي أخذ عنه مالك حينما كان صغيرا ، ومنهم نافع مولى عبد الله بن عمر ، ومنهم عبد الله بن دينار ، ومنهم محمد بن المنكدر ، ومنهم جعفر الباقر ومنهم عبد الرحمن بن ذكوان ، ومنهم محمد ابن مسلم الزهري ، ومنهم يحي بن سعيد الأنصاري ، ومنهم أبو حازم سلمة بن دينار ، وغيرهم من كثير التابعين و تابعيهم.

تلامذته : كان لمالك ثلاثة أصناف من التلاميذ .

الصنف الأول : شيوخه الذين أخذ -هو- عنهم ، فأضحوا -هم أنفسهم- تلامذة له في غير ماأخذ -هو- عنهم ، منهم محمد بن مسلم الزهري ، وموسى بن عقبة ، وهاشم بن عروة ، وأبو الأسود ، وربيعة بن أبي عبد الرحمن ، ويحي بن سعيد الأنصاري ، وأيوب السجستاني ، وغيرهم .

الصنف الثاني : أقرانه ورفقاؤه في الدراسة والرواية ، منهم : حماد بن سلمة ، وحماد بن زيد ، وسفيان الثوري ، والليث بن سعد ، وإسماعيل بن كثير ، وسفيان بن عيينة وأبو حنيفة النعمان ، وأبو يوسف القاضي ، وشريك ، وابن لهيعة ، وغيرهم .

الصنف الثالث : سكان الجزيرة العربية وغيرها من سائر أقطار المسلمين الذين نزحوا إلى المدينة ليأخذوا عنه ويسمعوا منه ماأنعم الله به عليه من علم غزير في الحديث الشريف والفقه الإسلامي ، ومنهم عبد الرحمن بن القاسم العتقي ، وأشهب بن عبد العزيز القيسي ، وعبد الله بن وهب القرشي ، وعبد الله بن عبد الحكم ، وإياد بن عبد الرحمن القرطبي ، ويحيى بن يحيى بن كثير الليثي ، وعلي بن زياد التونسي ، وأسد بن الفرات النيسابوري ، ومحمد بن إدريس الشافعي ، ومحمد بن الحسن الشيباني ، الذي قال : " أقمت بباب مالك ثلاث سنين ، وسمعت نيفا وسبعمائة حديث لفظا " ، وغيرهم كثيرون .

تدريسه : بعد مافهم مالك ماتلقاه عن مشائخه ووعى ما

قرأه وسمعه ، وتزود بما فتح الله به عليه من العلوم العقلية ، والنقلية ، أذن له سبعون شيخا من مشائخه أن يجلس للتدريس، ويتصدر للإفتاء ، فجلس بمسجد الرسول - عليه الصلاة والسلام - وكون هناك حلقة جديدة من بين حلقات التديس ، فتحولت إليه أنظار طلاب العلم بسرعة ، فأسرعوا إلى الجلوس إليه ، فأصبحت حلقته أكبر من سائر الحلقات ؛ بل صارت حلقته أكبر من حلقة شيخه نافع بكثير ، وكيف لا وقد جلس إليه وأخذ عنه عدد من مشائخه الموقرين ، وعلى رأسهم يحي بن سعيد الأنصاري ، ومحمد بن مسلم الزهري ، واختار مالك مكان جلوسه للتدريس والإفتاء المكان الذي جلس فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسجد وهوالمكان الذي جلس فيه بعده عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وبقي المسجد النبوي مقرا لدروس مالك وفتاواه ، حتى لازمه مرض سلس البول ، فاضطر حينئذ إلى نقل مقرهما في الحال إلى منزله ، صيانة لمسجد الله ، وتأدبا مع رسول الله وحياء منه ، ومن آداب مالك النبيلة وأخلاقه الإسلامية أنه كتم عن الناس مرضه هذا ولم يصرح به حتى آخر حياته حيث قال : " لولا أني في آخر يوم ماأخبرتكم بسلس بولي ، وكرهت أن آتي مسجد رسول الله بغير وضوء ، وكرهت أن أذكر علتي فأشكو ربي " ، ومن حسن حظ المسلمين أن إقامة مالك قد كانت بالمدينة المنورة حيث كان الوافدون يفدون إليها من جميع الأقطار الإسلامية لزيارة قبر الرسول فينتهزون الفرصة ، ويسمعون من مالك الدروس الفقهية والأحاديث النبوية والفتاوي الإسلامية ، ثم يبثون

وينشرون ما سمعوه منه في مجتمعاتهم الإسلامية بعد عودتهم إلى أقطارهم . وبفضل هؤلاء الوفود أصبح مالك مطلعا على الحياة الاجتماعية خارج الجزيرة العربية ، وكان معتمد مالك في الفقه القرآن أولا والسنة ثانيا ، وكان شديد التدقيق في رواية الحديث النبوي حتى لا يختلط صحيحه بغيره ، وكان يعتبر عمل أهل المدينة مصدرا أساسيا من مصادر الفقه الإسلامي زمانا ومكانا ، ومهما كان من أمر فإن الإمام مالك قد كان ملتزما في فتاواه بالكتاب والسنة ، حتى إنه كثيرا مايردد هذا البيت :

وخير أمور الدين ماكان سنة وشر الأمور المحدثات البدائع(1)

وكان طويل التفكير كثير التريث في الإجابة عما يسأل ، وقد سئل عن ثمان وأربعين مسألة وأجاب عن ست عشرة مسألة وقال فيما تبقى منها : " لا أدري " وكان يقول " ينبغي أن يورث العالم جلساءه قول " لاأدري " حتى يكون ذلك أصلا في أيديهم يفرغون إليه ، فإذا سئل أحدهم عما لا يدري ؟ قال : لا أدري ! وكان يقول " ربما وردت علي المسألة ، فأسهر فيها عامة ليلتي " ، وجاء رجل فسأله سؤالا فقال مالك : أمهلني حتى أنظر وأفكر ، فقال السائل : هذه خفيفة ! فغضب مالك ، وقال له - مستنكرا - " مسألة خفيفة !... ليس في العلم شيء خفيف ، أما سمعت قول الله تعالى " إنا سنلقي عليك

(1) من البحر الطويل .

قولا ثقيلا " (1) ، فالعلم كله ثقيل وخاصة مايسأل عنه يوم القيامة ... ما من شيء أشد علي من أن أسأل عن مسألة من الحلال والحرام ، لأن هذا هو القطع في حكم الله " وجاءه يوما أحد الناس يسأله عن مسألة ، فأجابه بأنه لا يدري ، فقال له السائل متعجبا أفأذكر عنك أنك لا تدري ؟ فقال مالك : نعم ، احك عني أنني لا أدري " .

وكان مالك يكره المراء والجدال ؛ كما كان ملتزما بالإجابة عن الأشياء التي قد حدثت ووقعت في المجتمعات ، وكان يمتنع عن الإجابة عن الأمور الفرضية والقضايا التصورية ، ويقول للسائل عنها : " سل عما يكون ، ودع مالم يكن " .

مؤلفاته : لا شك أن الإمام مالكا قد أتحف المكتبة الإسلامية بما زودها من مؤلفاته في مختلف الفنون العلمية ، نذكر منها مايلي :

1 - تفسير غريب القرآن ، 2 - رسالة في الرد على القدرية ، 3 - رسالة في الأقضية ، 4 - رسالة في الفتوى إلى أبي غسان ، 5 - رسالة إلى هارون الرشيد (وهي هذه التي نحن بصدد تحقيقها ونشرها) ، 6 - رسالة إلى الليث بن سعد (وهي مثبتة بنصها في هذه المقدمة) ، 7 - كتاب السير، 8 - كتاب السرور ، 9 - كتاب في النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر ، 10- كتاب الموطأ ، وهو أشهر مؤلفاته و أنفعها زمانا ومكانا ، ومعنى " الموطأ " : المسهل

---

(1)

المهد المعبد ، وكان الدافع إلى تأليفه عدة أسباب منها : ضعف الرواية وحفظ الأحاديث النبوية ، ومنها ظهور أقوال الفرق المبتدعة ، وتدوين أهوائهم الضالة . ومنها أن أبا جعفر المنصور هو الذي حرضه على تأليفه ، وألح عليه مرارا حتى وضعه وألفه ؛ وقد جمع فيه ما بلغه من الأحاديث النبوية وأقوال الصحابة والتابعين ، وقل أن يكونوا من غير أهل المدينة ، وجملة ما في " الموطأ " من الآثار النبوية وأقوال الصحابة والتابعين 1720 حديثا : المسند منها 600 ، والمرسل 222 والموقوف 613 ، ومن أقوال التابعين 285 .

وقال عبد الرحمن السيوطي في " تنوير الحوالك " نقلا عن أبي بكر محمد بن العربي : " إن الموطأ هو الأصل ، وصحيح البخاري هو الأصل الثاني ، وإن مالكا روى مائة ألف حديث ، اختار منها في الموطأ عشرة آلاف ، ثم لم يزل يعرضها على الكتاب والسنة (العملية) ، حتى رجعت إلى خمسمائة حديث" (مسند) .

وقد أكمل الإمام مالك تأليف كتاب " الموطأ " عام ثمانية وأربعين بعد المائة من الهجرة النبوية (148هـ) ، وقد استغرق تأليف هذا الكتاب المبارك أربعين سنة عرضه خلالها على سبعين فقيها من فقهاء المدينة المنورة . قال صفوان بن عمر : "عرضنا على مالك " الموطأ " في أربعين يوما ، فقال : كتاب ألفته في أربعين سنة أخذتموه في أربعين يوما ؛ قلّ ماتتفقهون فيه " ، وقد اعتنى بهذا الكتاب كثير من العلماء والفقهاء ، فدرسوه وشرحوه وأبرزوا ما فيه للمتعطشين للعلوم الإسلامية

زمانا ومكانا .

وأحسن تصوير لطريقة مالك في تأليف كتابه " الموطأ " هو ماصوره لنا في مقدمة ذلك الكتاب حيث قال : " أما أكثر مافي الكتاب فرأي لعمري ما هو برأي ، ولكن سماع من غير واحد من أهل العلم والفضل ، والأئمة المهتدى بهم الذين أخذت عنهم ، وهم الذين كانوا يتقون الله تعالى : فكثر عليّ فقلت رأي ، إذ كان رأيهم رأي الصحابة الذين أدركوهم عليه ، وأدركتهم - أنا - على ذلك فهذا وراثة توارثوها قرنا عن قرون إلى زماننا ، وما كان رأيا ، فهو رأي جماعة ممن تقدم من الأئمة ، وماكان فيه الأمر المجتمع عليه فهو مااجتُمع عليه من قول أهل الفقه والعلم لم يختلفوا فيه ، وما قلت : الأمر عندنا فهو ما عمل الناس به عندنا ، وجرت به الأحكام ، وعرفه العام والخاص ، وكذلك ما قلت فيه : ببلدنا ، وماقلت فيه : بعض أهلها ، فهو شيء استحسنته من قول العلماء وأما ما لم أسمعه منهم فاجتهدت ونظرت على مذهب من لقيته ، حتى وقع ذلك موقع الحق أو قريبا منه ، حتى لا يخرج عن مذهب أهل المدينة وآرائهم ، وإن لم أسمع ذلك بعينه ، فنسبت الرأي إليّ بعد الاجتهاد مع السنة ، ومامضى عليه عمل أهل العلم المقتدى بهم ، والأمر المعمول به عندنا منذ لدن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأئمة الراشدين مع من لقيت ، فذلك رأيهم ما خرجت إلى غيره " .

بعض أقواله : وللإمام مالك مجموعة من الكلمات البليغة المهذبة الوجيزة في الموعظة والحكمة ، نذكر منها مايلي : " إن

هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذونه منه ، العلم نور لا يأنس إلا بقلب تقي خاشع . ليس العلم بكثرة الرواية ؛ إنما العلم نور يضعه الله في قلب من يشاء من عباده ، طلب العلم حسن جميل ، ولكن انظر مايلزمك من حين تصبح إلى أن تمسي فالزمه . حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية . لا ينبغي للعالم أن يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه ، فإنه ذل وإهانة للعلم . بلغني أن العلماء يسألون يوم القيامة عما يسأل عنه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، ما زهد أحد في الدنيا إلا أنطقه الله بالحكمة . إذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه. الزهد في الدنيا طلب التكسب وقصر الأمل . إذا لم يكن للإنسان في نفسه خير لم يكن للناس فيه خير . لا خير فيمن يرى نفسه في حال لا يراه الناس لها أهلا . من علم أن قوله من عمله قلّ كلامه . التواضع من التقى والدين لا في اللباس ، إنا كنا نتواضع في التقى والدين لا في اللباس . خير الأمور ما كان منها ضاحيا بينا ، وإن كنت في أمرين أنت منهما في شك فخذ الذي أوثق . لا يؤخذ العلم من أربعة ، ويؤخذ ممن سواهم : لا يؤخذ من سفيه ، ولا يؤخذ من صاحب هوى يدعو إلى بدعة ، ولا من كذاب يكذب في أحاديث الناس، وإن كان لا يتهم على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا من شيخ له فضل وصلاح وعبادة ؛ إذا كان لا يعرف مايحمل وحدث به . أدركت بهذه البلدة (المدينة) أقواما لو استقي بهم المطر سقوا ، قد سمعوا العلم والحديث كثيرا ؛ ماحدثت عن أحد منهم شيئا لأنهم كانوا ألزموا أنفسهم ، وهذا

الشأن (أي رواية الحديث والفقه والفتوى ، يحتاج إلى رجل معه تقى وورع وصيانة ، وإتقان وعلم وفهم ، فيعلم ما يخرج من رأسه ، ويصل إليه ، فأما رجل بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به ، ولا هو حجة ، ولا يؤخذ عنه . لا يصلح المرء حتى يترك ما لا يعنيه ، ويشتغل بما يعنيه ، فإذا كان كذلك أوشك أن يفتح الله تعالى قلبه له . إذا عرض لك أمر فاتئد ، وعاير على نظرك بنظر غيرك ، فإن العيار يذهب عيب الرأي ، كما تذهب النار عيب الذهب . مازال الناس هكذا : لهم عدو وصديق ، ولكن نعوذ بالله من تتابع الألسنة كلها . مثل المنافقين في المسجد كمثل العصافير في القفص ، إذا فتح باب القفص طارت العصافير ، ينبغي للقاضي ألا يترك مجالسة العلماء ، وكلما نزلت به نازلة ردها إليهم وشاورهم ، ماأحب لأحد أنعم الله عليه إلا أن يرى أثر نعمته عليه ، وخصوصا أهل العلم ينبغي لهم أن يظهروا مروءاتهم في ثيابهم إجلالا للعلم " .

صفاته وأخلاقه : كان مالك أبيض اللون مائلا إلى الشقرة أصلع ، عظيم الهامة ، طويل القامة ، أشم الأنف ، جميل الصورة ، وكان حريصا على استعمال الطيب والعطور ، شغوفا بالملابس الجميلة الفاخرة ، وكان يرتدي الثياب العدنية الجياد والمصرية الثمينة والخراسانية المرتفعة ، وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ؛ بل يراه مثلة ، وكان لا يصبغ شعره ولا يغير شيبه ، وكان يتختم بخاتم كتب عليه " حسبي الله ونعم الوكيل " ، وكان يأكل الطعام الجيد واللذيذ ، محبا للحم والموز الذي يقول

فيه : " لا شيء أشبه بثمر الجنة منه ، لا تطلبه في شتاء ولا صيف إلا وجدته ، قال الله تعالى "أكلها دائم وظلها "(1) وكان حريصا على تأثيث بيته بالأثاث الفخم الجميل ، وكان يرى التوسع في النفقات والتمتع بالطيبات شكرا لله على ما أنعم به على عباده .

وقد كتب يحيى بن يزيد النوفلي - معترضا على الإمام مالك في ذلك - بقوله : " بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على رسوله محمد في الأولين والآخرين ، من يحيى بن يزيد ابن عبد الملك إلى مالك بن أنس ، أما بعد ،

فقد بلغني أنك تلبس الدقاق ، وتأكل الرقاق ، وتجلس على الوطئ وتجعل على بابك حاجبا ، وقد جلست مجلس العلم ، وقد ضربت إليك المطي ، وارتحل الناس ، واتخذوك إماما ، ورضوا بقولك .

فاتق الله تعالى - يامالك ، وعليك بالتواضع ، كتبت إليك بالنصيحة منى كتابا مااطلع عليه غير الله ، سبحانه وتعالى والسلام " .

فرد عليه الإمام مالك بقوله : " بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ، من مالك بن أنس إلى يحيى بن يزيد ، سلام الله عليك ، أما بعد ،

فقد وصل إليّ كتابك ، فوقع مني موقع النصيحة والشفقة

---

(1) سورة " الرعد " الآية 35 .

والأدب أمتعك الله بالتقوى ، وجزاك بالنصيحة خيرا ، وأسأل الله تعالى التوفيق ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

فأما ماذكرت لي أني آكل الرقاق ، وألبس الدقاق ، وأحتجب ، وأجلس على الوطئ ، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى ، فقد قال الله تعالى : " قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا ، خالصة يوم القيامة ، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون " (1) .

وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ، ولا تدعنا من كتابك ، فلسنا ندعك من كتابنا ، والسلام " .

وقد أصاب الإمام أبو حامد الغزالي حينما علق على رد الإمام مالك فقال : " فانظر إلى إنصاف مالك إذا اعترف " أن ترك ذلك خير من الدخول فيه " ، وأفتى بأنه مباح ، وقد صدق فيهما جميعا " . وكان مالك كثير الصمت ، قليل الكلام ، قليل الإفتاء ، قليل الاختلاط بالناس لم يجالس سفيها قط ، وكان شديد التحفظ ، كثير العبادة والتلاوة ، أحسن الناس خلقا مع أهله وولده وكان يسكن بيت عبد الله بن مسعود بالكراء ، وكتب على بابه " ماشاء الله " تفاؤلا بقوله تعالى : " ولولا إذا دخلت جنتك قلت ماشاء الله " (2) .

وكان كثير التعظيم والإجلال للحديث النبوي ، فكان يخرج

---

(1) سورة " الأعراف " الآية 32 .

(2) سورة الكهف الآية 93 .

لطلابه حتى يغتسل ويتطيب ويتعمم ويلبس ثيابا جديدة ، وكان يعتبر رفع الصوت في درس الحديث أمرا مكروها ومحرما على المسلم أن يفعله ، مستدلا بقوله تعالى " يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون " (1) .

فاعتبر رفع الصوت في درس الحديث بمثابة رفعه فوق صوت النبي ، عليه الصلاة والسلام .

وكان ذات يوم يروي حديثا للنبي - عليه الصلاة والسلام - فلدغته عقرب وهو يروي فصبر واحتمل اللدغة ولم يقطع الرواية، ولما سئل عن ذلك ، قال صبرت على ألم اللدغة إجلالا لحديث الرسول عليه الصلاة والسلام . وقد جره حبه الشديد لرسول الله أن يعيش طوال حياته في جوار محبوبه ، وأن يلازم المدينة المنورة ، ولم يبرح ديارها لحظة إلا للحج إلى مكة المكرمة . وقد طلب من مالك بعض الخلفاء أن يرحل إلى بغداد عاصمة العباسيين ، فيعيش هناك في رفاهية ونعيم ، فرفض طلبه ورد عليه بقول الرسول عليه الصلاة والسلام " المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون " .

وقد بلغ بمالك حبه لرسول الله وتعظيمه وتوقيره له أن امتنع أن يركب أية دابة في المدينة ، ويقول : " إني لأستحي أن أركب دابة تطأ بحوافرها أرضا يضم ترابها جسد الرسول صلى الله عليه وسلم " .

---

(1) سورة الحجرات الآية 2 .

وكان الإمام مالك متحليا بالصبر الجميل والعزم الصارم والإرادة القوية وكان ذا فراسة صادقة ، كما كان جديا في أقواله وأفعاله ، كارها للجدال والمراء ، مجتنبا للأغلوطات والمسائل غير المجدية نفعا ، فقد سأله سائل عن معنى الاستواء في قول الله تعالى : " الرحمن على العرش استوى " (1) ، فسكت مالك حتى ترشح جسده عرقا ، ثم أجاب بقوله : "الاستواء منه معلوم ، والكيف منه مجهول ، والسؤال عن هذا بدعة ، والإيمان به واجب " ، فاقتنع السائل وقال : " والله الذي لا إله إلا هو لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق ، فلم أجد أحدا وُفق لما وفقت له " . وكان للإمام مالك هيبة قاهرة ورهبة زاجرة ، فقد هابه الحكام والخلفاء ومعارفه وتلامذته ، قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي : " ما هبت أحدا قط هيبتي من مالك بن أنس " ، وقال سعيد بن هند الأندلسي : " ما هبت أحدا هيبتي من عبد الرحمن بن معاوية الداخل ، فدخلت على مالك فهبته هيبة شديدة صغرت هيبة ابن معاوية ! " .

وكانت تعرض لجلساء مالك أسئلة يود أصحابها أن يطرحوها عليه ، بيد أن هيبتهم منه وإجلالهم له يحولان دون ذلك ، وهذا واضح جدا فيما أنشده سفيان الثوري في هذا الإمام المَهيب حيث قال :

---

(1) سورة طه الآية 5 .

يأبى الجوابَ فما يُراجع هيبـــة والسائلون نواكس الأذقان
أدب الوقار وعز سلطان التقى فهوالمطاع وليس ذاسلطان(1)

وكان الإمام مالك ميالا إلى الأدب العذري ، محبا لسماع الأشعار العفيفة ، روي أنه مر يوما بمغنية تغني بصوت طروب قول الشاعر العفيف :

أنت أختي ، وأنت حرمة جاري وحقيق علي حفظ الجـــوار
أنا للجـــار ماتغيـــب عنـــــي حافظ للمغيب في الأسرار
ماأبـــالي أكـــان للبـــاب ستـــر مسبل ، أم بقي بغير ستار

فأعجب مالك بهذا الغناء واطمأن لهذه الأبيات وسر بها معنى ولحنا وقال : " لو غني بها حول الكعبة لجاز " ، ثم قال : " ياأهل الدار ! علموا قينتكم مثل هذا " .

وقد أفادنا أبو العلاء المعري في كتابه " رسالة الغفران " أن الإمام مالك بن أنس والخليفة عمر بن عبد العزيز يعدان من أهل طبقات المغنين . ولعل إباحة مالك للغناء بتمثل في عدم ذكره أى أثر يتعلق بالغناء في كتابه " الموطأ " الذي ذكر فيه حرمة كثير من الأشياء أو كراهتها .

الإمام مالك والعلماء : كان لمالك علاقات علمية واتصالات فكرية بينه وبين علماء عصره في شتى الأقطار الإسلامية ، فيراسلهم ويراسلونه في المسائل الدينية التي تدور حول الفقه الإسلامي ، الحديث النبوي ، والتفسير القرآني ، والفتاوي المتعددة الدوافع والأهداف ، وكان من بين تلك

(1) من البحر الكامل .

الرسائل المملوءة علما ومعرفة رسالتان اثنتان ، إحداهما للإمام مالك بن أنس وثانيتهما لليث بن عبد الرحمن المصري (1) .

وكلتا الرسالتين قد كانتا بين هذين الشخصيتين ، ولفائدتهما الجمة أحببنا أن نثبتهما هنا ، ليستفيد منهما كل من يبتغي أن يتعلم طريقة الحوار العلمي ، وآداب المناقشة النزيهة زمانا ومكانا .

رسالة الإمام مالك إلى الليث بن سعد

" من مالك بن أنس إلى الليث بن سعد :

سلام عليكم فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد ، فعصمنا الله وإياك بطاعته في السر والعلانية ، وعافانا وإياكم من كل مكروه .

واعلم ، رحمك الله ، أنه بلغني أنك تفتي الناس بأشياء مختلفة مخالفة لما عليه جماعة الناس عندنا أو ببلدنا الذي نحن فيه ، وأنت - في أمانتك وفضلك ومنزلتك من أهل بلدك ، وحاجة من قبلك إليك ، واعتمادهم على ماجاء هم منك - حقيق بأن تخاف على نفسك ، وتتبع ماترجو النجاة باتباعه ، فإن الله تعالى يقول في كتابه : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ،

(1) ولد سنة 93 هـ وتوفي سنة 175 هـ .

ذلك الفوز العظيم " (1) ، وقال تعالى : " فبشر عبادي الذي يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، أولئك الذين هداهم الله ، وأولئك هم أولوا الألباب " (2) .

فإنما الناس تبع لأهل المدينة ؛ إليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن ، وأحل الحلال وحرم الحرام ، إذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بين أظهرهم يحضرون الوحي والتنزيل ، ويأمرهم فيطعونه ، ويسن فيتبعونه ، حتى توفاه الله ، واختار له ماعنده صلوات الله وسلامه عليه ورحمته وبركاته ! ثم قام من بعده أتبع الناس له من أمته ، ومن ولي الأمر من بعده بما نزل بهم ، فما علموا أنفذوه ، ومالم يكن عندهم فيه علم سألوا عنه، ثم أخذوا بأقوى ماوجدوا في ذلك ، في اجتهادهم وحداثة عهدهم ، وإن خالفه مخالف أو قال أمرا غيره أقوى منه وأولى ترك قوله وعمل بغيره ، ثم كان التابعون من بعدهم يسلكون تلك السبيل ويتبعون تلك السنن ، فإذا كان الأمر بالمدينة ظاهرا ومعمولا به لم أر لأحد خلافه للذي في أيديهم من تلك الوراثة التي لا يجوز انتحالها ولا ادعاؤها .

ولو ذهب أهل الأمصار يقولون : هذا العمل ببلدنا ، وهذا الذي مضى عليه من مضى منا لم يكونوا من ذلك على ثقة ، ولم يكن لهم من ذلك الذي جاز لهم فانظر - رحمك الله - فيما كتبت إليك فيه لنفسك ، واعلم أني أرجو ألا يكون

---

(1) سورة التوبة الآية 100 .

(2) سورة الزمر الآية 17 ، 18 .

دعاني إلى ماكتبت به إليك إلا النصيحة لله وحده ، والنظر لك، والظن بك ، فأنزل كتابي منزلته ، فإنك إن فعلت تعلم أنني لم آلك نصحا .

وفقني الله وإياك لطاعته وطاعة رسوله في كل أمر وعلى كل حال .والسلام عليك ورحمة الله " .

رسالة الليث بن سعد إلى مالك بن أنس

" سلام عليك ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو .

أما بعد : عافانا الله وإياك ، وأحسن لنا العاقبة في الدنيا والآخرة .

قد بلغني كتابك ، تذكر فيه من صلاح حالكم الذي يسرني فأدام الله ذلك وأتمه بالعون على شكره والزيادة من إحسانه .

وذكرت نظرك في الكتب التي بعثت بها إليك وإقامتك إياها وختمك عليها بخاتمك وقد أتتنا ، فجزاك الله عما قدمت منها خيرا ، فإنها كتب انتهت إلينا عنك ، فأحببت أن أبلغ حقيقتها بنظرك فيها ، وذكرت أنه قد أنشطك ماكتبت إليك فيه من تقويم ما أتاني عنك إلى ابتدائي بالنصيحة ، ورجوت أن يكون لها عندي موضع ، وأنه لم يمنعك من ذلك فيما خلا إلا أن يكون رأيك فينا جميلا إلا لأني لم أذاكرك مثل هذا ، وأنه بلغك أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم ، وأني يحق علي الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على

ماأفتيتهم به ، وأن الناس تبع لأهل المدينة التي إليها كانت الهجرة ، وبها نزل القرآن ، وقد أصبت بالذي كتبت به من ذلك إن شاء الله تعالى ، ووقع مني بالموقع الذي تحب ، وما أجد أحدا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ، ولا آخذ لفتياهم فيما اتفقوا عليه مني ، والحمد لله رب العالمين لا شريك له . وأما ما ذكرت من مقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة ونزول القرآن بها عليه بين ظهري أصحابه ، وماعلمهم الله منه وأن الناس صاروا به تبعا لهم فيه ، فكما ذكرت . وأما ماذكرت من قوله تعالى : " والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ، خالدين فيها أبدا ، ذلك الفوز العظيم " (1) . فإن كثيرا من أولئك السابقين الأولين خرجوا إلى الجهاد في سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ، فجندوا الأجناد ، واجتمع إليهم الناس ، فأظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله وسنة نبيه ، ويجتهدون برأيهم فيما لم يفسره لهم القرآن والسنة . وتقدمهم عليه أبو بكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لأنفسهم ، ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لأجناد المسلمين ولا غافلين عنهم ، بل كانوا يكتبون في الأمر اليسير لإقامة الدين ، والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه ، فلم يتركوا أمرا فسره القرآن أو عمل به النبي صلى الله عليه

---

(1) سورة التوبة الآية 100 .

وسلم ، أو ائتمروا فيه بعده إلا علموهموه ، فإذا جاء أمر عملٍ عملَ فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بمصر والشام والعراق على عهد أبي بكر وعمر وعثمان ولم يزالوا عليه حتى قبضوا ، لم يأمروا بغيره ، فلا تراه يجوز لأجناد المسلمين أن يحدثوا اليوم أمرا لم يعمل به سلفهم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم ؛ مع أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلفوا بعد الفتيا في أشياء كثيرة ، ولولا أني قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها إليك ، ثم اختلف التابعون في أشياء بعد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : سعيد بن المسيب ونظرآؤه ، أشد الاختلاف ، ثم اختلف الذين كانوا من بعدهم ، فحضرتهم بالمدينة وغيرها ، ورأسهم يومئذ ابن شهاب وربيعة بن عبد الرحمن ، وكان من خلاف ربيعة لبعض ماقد مضى ما قد عرفت وحضرت ، وسمعت قولك فيه وقول ذوي الرأي من أهل المدينة : يحيى بن سعيد ، وعبد الله بن عمر ، وكُثير بن فرقد ، وغير كثير ممن هو أسن منه ؛ حتى اضطرك ماكرهت من ذلك إلى فراق مجلسه ، وذاكرتك - أنت وعبد العزيز بن عبد الله - بعض مانعيب على ربيعة من ذلك ، فكنتما من الموافقين فيما أنكرت ؛ تكرهان منه ما أكرهه ، ومع ذلك - بحمد الله - عند ربيعة خير كثير ، ومودة لإخوانه عامة ولنا خاصة ، رحمه الله وغفر له ، وجزاه بأحسن من عمله ، وكان يكون من ابن شهاب اختلاف كثير إذا لقيناه ، وإذا كاتبه بعضنا فربما كتب إليه في الشيء الواحد -على فضل رأيه وعلمه - بثلاثه أنواع ينقض بعضها بعضا ،

ولا يشعر بالذي مضى من رأيه في ذلك . فهذا الذي يدعوني إلى ترك ما أنكرت تركي إياه .

وقد عرفت - أيضا - عيب إنكاري إياه أن يجمع أحد من أجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر ، ومطر الشام أكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه إلا الله ، ولم يجمع منهم إمام قط في ليلة المطر ، وفيهم أبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد ، ويزيد ابن أبي سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل ، وقد بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " أعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل " ، وقال : " يأتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة " (1) ، وشرحبيل بن حسنة ، وأبو الدرداء ، وبلال بن رباح ، وكان أبو ذر بمصر ، والزبير بن العوام وسعد بن أبي وقاص (كذلك) . وبحمص سبعون من أهل بدر ، وبأجناد المسلمين كلها ، وبالعراق ابن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وعمران بن حصين ، ونزلها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، كرم الله وجهه في الجنة ، وكان معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قط ، ومن ذلك القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق ، وقد عرفت أنه لم يزل يقضى بالمدينة به ، ولم يقض به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بالشام ولا بحمص ولا بمصر ولا بالعراق ، ولم يكتب به إليهم الخلفاء الراشدون : أبو بكر وعمر وعثمان ، وعلي ، ثم ولي عمر بن

---

(1) الرتوة : الخطوة والدرجة .

عبد العزيز وكان كما قد علمت في إحياء السنن والجد في إقامة الدين والإصابة في الرأي والعلم بما مضى من أمر الناس - فكتب إليه زريق بن الحكم : إنك كنت تقضي بالمدينة بشهادة الشاهد الواحد ويمين صاحب الحق ، فكتب إليه عمر بن عبد العزيز : إنا كنا نقضي بذلك بالمدينة ، فوجد أهل الشام على غير ذلك ، فلا نقضي إلا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين ، ولم يجمع بين العشاء والمغرب - قط - ليلة المطر ، والمطر يسكب عليه في منزله الذي كان فيه بخناصر(1) ساكنا.

ومن ذلك أن أهل المدينة يقضون في صدُقات النساء أنها (المرأة) متى شاءت أن تتكلم في مؤخر صداقها تكلمت فدفع إليها ، وقد وافق أهل العراق أهل المدينة على ذلك وأهل الشام وأهل مصر (كذلك) ، ولم يقض أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر ؛ إلا أن يفرق بينهما موت أو طلاق ، فتقوم على حقها .

ومن ذلك قولهم في الإيلاء : إنه (الزوج) لا يكون عليه طلاق حتى يوقف وإن مرت أربعة أشهر ، وقد حدثني نافع عن عبد الله بن عمر - وهو الذي كان يروي عنه ذلك التوقيف بعد الأشهر - أنه كان يقول في الإيلاء الذي ذكر الله في كتابه : "لا يحل للمولى إذا بلغ الأجل إلا أن يفيء كما أمر الله ، أو يعزم الطلاق " ، وأنتم تقولون : إن لبث بعد الأربعة الأشهر التي سمى الله في كتابه ، ولم يوقف ، لم يكن عليه طلاق .

---

(1) خناصر : قرية بسورية (محافظة حلب) .

وقد بلغنا أن عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وقبيصة بن ذؤيب وأبا سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قالوا في الإيلاء : إذا مضت أربعة أشهر فهي تطليقة بائنة . وقال سعيد بن المسيب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام وابن شهاب : إذا مضت الأربعة الأشهر فهي تطليقة ؛ وله الرجعة في العدة .

ومن ذلك أن زيد بن ثابت كان يقول : إذا ملّك الرجل امرأته فاختارت زوجها فهي تطليقة ، وإن طلقت نفسها ثلاثا فهي تطليقة ، وقد قضى بذلك عبد الملك بن مروان ، وكان ربيعة بن عبد الرحمن يقوله ، وقد كاد الناس يجتمعون على أنها إن اختارت زوجها لم يكن فيه طلاق ، وإن اختارت نفسها واحدة أو اثنتين كانت له عليها الرجعة ، وإن طلقت نفسها ثلاثا بانت منه ، ولم تحل له حتى تنكح زوجا غيره ، فيدخل بها ثم يموت أو يطلقها ، إلا أن يرد عليها في مجلسه فيقول : إنما ملكتك واحدة ، فيستخلف ويخلى بينه وبين امرأته .

ومن ذلك أن عبد الله بن مسعود كان يقول : أيما رجل تزوج أمَة ثم اشتراها زوجها فاشتراؤه إياها ثلاث تطليقات ، وكان ربيعة يقول ذلك ، وإن تزوجت المرأة الحرة عبدا فاشترته فمثل ذلك .

وقد بُلّغنا عنكم شيئا من الفتيا مستكرها ، وقد كنت كتبت إليك في بعضها ، فلم تجبني في كتابي ، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك ، فتركت الكتاب إليك في شيء مما أنكره وفيما أوردت فيه على رأيك .

وذلك أنه بلغني أنك أمرت زفر بن عاصم الهلالي - حين

أراد أن يستسقي - أن يقدم الصلاة قبل الخطبة ، فأعظمت ذلك ، لأن الخطبة والاستسقاء كهيئة يوم الجمعة ، إلا أن الإمام إذا دنا من فراغه من الخطبة فدعا حوّل رداءه ، ثم نزل فصلى ، وقد استسقى عمر بن عبد العزيز وأبو بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم وغيرهما ؛ فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة ، فاستهتر الناس كلهم فعل زفر بن عاصم من ذلك واستنكروه .

ومن ذلك أنه بلغني أنك تقول في الخليطين (1) في المال : إنه لا تجب عليها الصدقة حتى يكون لكل واحد منها ما يجب فيه الصدقة ، وفي كتاب عمر بن الخطاب أنه يجب عليهما الصدقة ويترادان بالسوية ، وقد كان ذلك يعمل به في ولاية عمر بن عبد العزيز قبلكم وغيره ، والذي حدثنا به يحيى بن سعيد ولم يكن بدون أفاضل العلماء في زمانه ، فرحمه الله وغفر له وجعل الجنة مصيره . ومن دلك أنه بلغني أنك تقول : إذا أفلس الرجل وقد باعه رجل سلعة ، فتقاضى طائفة من ثمنها ، أو أنفق المشتري طائفة منها ، أنه يأخذ ما وجد من متاعه ، وكان الناس على أن البائع إذا تقاضى من ثمنها شيئا أو أنفق المشتري منها شيئا فليست بعينها .

ومن ذلك أنك تذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يعط الزبير بن العوام إلا لفرس واحد ، والناس كلهم يحدثون أنه أعطاه أربعة أسهم لفرسين ومنعه الفرس الثالث ، والأمة كلهم على هذا الحديث : أهل الشام وأهل مصر وأهل العراق ، وأهل

---

(1) الخليطين : الشريكين .

إفريقية ، لا يختلف فيه اثنان ، فلم يكن ينبغي لك - وإن كنت سمعته من رجل مرضي - أن تخالف الأمة أجمعين .

وقد تركت أشياء كثيرة من أشبه هذا ، وأنا أحب توفيق الله إياك وطول بقائك ، لما أرجو للناس في ذلك من المنفعة ، وما أخاف من الضيعة إذا ذهب مثلك مع استئناس بمكانك وإن نأت الديار .

فهذه منزلتك عندي ورأيي فيك فاستيقنه ، ولا تترك الكتاب إلي بخبرك وحالك وحال ولدك وأهلك ؛ وحاجة إن كانت لك أولأحد يوصل بك ، فإني أسر بذلك .

كتبت إليك ونحن صالحون معافون والحمد لله ، نسأل الله أن يرزقنا وإياكم شكر ما أولانا وتمام ما أنعم به علينا ، والسلام عليكم ورحمة الله .

أقوال بعض العلماء في مالك

1 - قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي : " مالك معلمي وأستاذي ، ومنه تعلمنا العلم وما أحد آمن علي من مالك ، وجعلت مالكا حجة فيما بيني وبين الله تعالى " .

وقال أيضا : " إذا جاء الأثر فمالك النجم "

2 - وقال أيوب بن سويد : " مارأيت أحدا قط أجود حديثا من مالك بن أنس " .

3 - وقال محمد بن عبد الحكم : " إذا انفرد مالك بقول لم يقله غيره فقوله حجة " .

4 - وقال أبو حاتم الرازي : " مالك ثقة ، إمام أهل الحجاز،

وهو أثبت أصحاب الزهري ، وإذا اختلفوا فالحكم لمالك ، ومالك تقي الرجال ، نقي الحديث وهو أتقن حديثا من الثوري والأوزاعي " .

5 - وقال ابن مهدي : " مابقي على وجه الأرض آمن على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من مالك " .

6 - وقال أبو زكريا يحيى النووي : " أجمعت طوائف العلماء على إمامة مالك وجلالته وعظم سيادته ، وتبجيله وتوقيره ، والإذعان له في الحفظ والتثبيت ، وتعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم " .

7 - وقال أبو مصعب : " كانوا يزدحمون على باب مالك ابن أنس ، فيقتتلون على الباب من الزحام ، وكنا نكون عند مالك فلا يكلم هذا هذا ، ولا يلتفت ذا إلى ذا ، والناس قائلون برؤوسهم هكذا (أى : يمدونها للمبالغة في الإنصات والاستماع ، وكان يقول في المسألة : لا ، أو نعم ، فلا يقال له: من أين قلت هذا ؟ " .

مالك والحكام

كان الإمام مالك يحبذ دخول العلماء على الحكام والولاة والملوك بقصد وعظهم وإرشادهم وأمرهم بفعل الخير ونهيهم عن فعل الشر ، قال رحمه الله : " حق على كل مسلم أو رجل جعل الله في صدره شيئا من العلم والفقه أن يدخل على كل سلطان ويأمره بالخير وينهاه عن الشر ، حتى يتبين دخول العالم من غيره ، فإذا كان فهو الفضل الذي لا يعده فضل " ، وكان

يقول : " إنما يدخل العلماء على السلطان لذلك " ، بل قد دخل هو نفسه على الخليفة المهدي بن أبي جعفر المنصور ، ووعظه وأوصاه بقوله : " أوصيك بتقوى الله وحده ، والعطف على أهل بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيرانه ، فإنه بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : " المدينة مهاجري ، وبها قبري ، وبها مبعثي ، وأهلها جيراني ، وحقيق على أمتي حفظي في جيراني ، فمن حفظهم كنت له شهيدا وشفيعا يوم القيامة " ، ودخل يوما على الخليفة هارون الرشيد ووعظه وذكره بأعمال عمر بن الخطاب الحميدة في رعيته ، وختم موعظته له بقوله : " وقد رضي الله منكم بدون هذا " ، ووعظ يوما أحد الولاة بقوله : " افتقد أمور الرعية فإنك مسؤول عنهم ، فإن عمر بن الخطاب قال : والذي نفسي بيده لو هلك جمل بشاطئ الفرات ضياعا ، لظننت أن الله يسألني عنه يوم القيامة " ، وكان يراسل الخلفاء والولاة ، ويوصيهم بالعدل في الرعية والإحسان إليهم ، ومن ذلك قوله في رسالته إلى أحد الخلفاء : " أعلم أن الله تعالى قد خصك من موعظتي إياك بما نصحتك به قديما ، وأتيت لك فيه ماأرجو أن يكون الله تعالى جعله لك سعادة ، وأمرا جعل سبيلك به إلى الجنة ، فلتكن - رحمنا الله وإياك - فيما كتبته إليك مع القيام بأمر الله ، وماسترعاك الله من رعيته فإنك المسؤول عنهم صغيرهم وكبيرهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : " كلكم راع ، وكلكم مسؤول عن رعيته " ، وروي في بعض الحديث أنه يؤتى بالوالي ويده مغلولة إلى عنقه ، فلا يفك عنه إلا العدل ،

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : " والله إن هلكت سخلة (1) بشط الفرات ضياعا لكنت أرى الله تعالى سائلا عنها عمر .

وحج عمر عشر سنين ، وبلغني أنه ماكان ينفق في حجة إلا اثني عشر دينارا ، وكان ينزل في ظل الشجرة ويحمل على عنقه الدّرة (2) ويدور في السوق يسأل عن أحوال من حضرها ومن غاب عنها ، ولقد بلغني أنه وقت أُصيب حضر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فأثنوا عليه ، فقال : المغرور من غررتموه ، لو أن ما على وجه الأرض ذهب لافتديْتُ به من أهوال المطلع (3) ، فعمر رحمه الله ، كان مسدداً موفقًا مع ما قد شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة ، ثم هو مع هذا خائف لما تقلد من أمور المسلمين ، فكيف بمن قد علمت ؟ فعليك بما يقربك إلى الله ، وينجيك منه غداً ، واحذر يوما لا ينجيك فيه عملك ، وليكن لك أسوة بمن قد مضى من سلفك ، وعليك بتقوى الله ، فقدمه حيث هممت ، وتطلع فيما كتبت به إليك في أوقاتك كلها ، وخذ نفسك بتعاهدها والأخذ به والتأدب عليه ، وأسأل الله التوفيق والرشاد إن شاء الله تعالى" .

وكان مالك يكره مدح الحكام بل يحذرهم من مدح المادحين

---

(1) السخلة : الغنم من الضأن والمعز ساعة ولادية ذكرا كان أو أنثى .

(2) الدرة : السوط الذي يضرب به .

(3) المطبع : الموقف يوم القيامة .

إياهم ومن ثنائهم عليهم . وهذا مانفهمه من قوله لأحد الحكام - عندما سمع في مجلسه أحد المادحين يمدحه ويثني عليه - : "وإياك أن يغرك هؤلاء بثنائهم عليك ، فإنّ من أثنى عليك وقال فيك من الخير ماليس فيك ، أوشك أن يقول فيك من الشرّ ماليس فيك، فاتق الله في التزكية منك لنفسك ، ولا ترض بها من أحد يقولها لك في وجهك فإنك أنت أعرف بنفسك منهم ، فإنّه بلغني أن رجلا مُدح عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " قطعتم ظهره أو عنقه ، لوسمعها ماأفلح " ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم : " احثُوا التراب في وجوه المداحين " .

وكان مالك جريئا في التفوه بما يؤمن به ، حريصا على الصّدع بالحق أمام الحكام مهما كانت الظروف والأحوال ، مستدلا على ذلك بقوله تعالى : " إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون " (1) .

وإذا كان مالك يحبذ الدخول على الحكام بقصد وعظهم وإرشادهم ، فإنه في الوقت نفسه حريص على صون العلم من الهوان ، وحفظه عن الابتذال ، بل هو شديد الاعتزاز بالعلم زمانا ومكانا . أخبرنا المؤرخون أن الخليفة هارون الرشيد أرسل إلى مالك ، وقال له : " ياأبا عبد الله ينبغي أن تختلف إلينا (أي تزورنا في منزلنا) حتى يسمع صبياننا " الموطأ " ، فما كان من مالك سوى أن رد عليه بقوله : " أعز الله أمير

(1) سورة البقرة الآية 159 .

المؤمنين، إن هذا العلم منكم خرج فإن أنتم أعززتموه عز ، وإن أنتم أذللتموه ذل ، والعلم يؤتى ولا يأتي " ، فاتعظ الرشيد بقول مالك وقال له صدقت ، ثم أمر ولديه (الأمين والمأمون) بالخروج إلى مسجد النبي ليسمعا هناك كتاب " الموطأ " مثلما يسمعه سائر الناس ، فاشترط عليهما مالك أن لايتخطيا رقاب الناس ، بل يجلسان حيث ينتهي بهما المجلس فحضرا على هذا الشرط العادل .

ولما حج الرشيد أرسل إلى مالك وطلب منه أن يحمل إليه كتاب " الموطأ " حتى يسمعه منه ، فرفض مالك طلبه ، بل طلب منه أن يسعى هو إلى العلم ، فاستجاب الرشيد لطلب مالك ، وقال : " والله لا نسمع إلا في بيتك " !! .

يحكى أن الإمام محمد بن إدريس الشافعي(1) أراد أن يتلقّى عن الإمام مالك ، فأخذ من والي مكة توصية إلى والي المدينة لكي ييسر له الالتقاء بمالك ، كما أخذ من والي مكة توصية إلى مالك نفسه ، وذهب الشافعي بالتوصية إلى والي المدينة فقرأها الوالي ثم قال : " يافتى ! إن مشيي من جوف المدينة إلى جوف مكة حافيا أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس ، فلست أرى الذل حتى أقف على بابه ، فقال له الشافعي : أصلح الله الأمير ، إن رأى الأمير أن يوجه إليه ليحضر " . ورد الأمير يقول : هيهات ! ليت أني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق ، نلنا بعض حاجتنا ! ثم

(1) وكان عمره إذداك ثلاث عشر سنة .

اتفق الشافعي مع الوالي على الذهاب إلى مالك عصرا ، وذهبا ومعهما حاشية الوالي ، ولما قرعوا باب مالك خرجت إليهم جارية سوداء ، فقال لها الوالي : قولي لمولاك إني بالباب ، وعادت الجارية ، وبعد لأي خرجت فقالت : إن مولاي يقرئك السلام ويقول : إن كانت لديك مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب ، وإن كان للحديث فقد عرفت الموعد . فقال لها : قولي له : إن معي كتاب والي مكة في حاجة مهمة فدخلت وعادت وفي يدها كرسي فوضعته ، ثم خرج مالك وعليه الهيبة والوقار بقامته الطويلة ، وطيلسانه عليه ، فقدم إليه الوالي كتاب والي مكة فتطلع إليه ووصل فيه موطن التوصية بالشافعي ، فرمى الكتاب من يده وقال : سبحان الله أصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل ؟! وهابه الوالي فلم يتكلم ، وتقدم الشافعي فشرح لمالك قصته ورحلته في سبيل العلم ورغبته في التلقي عنه ، فتأمل فيه مالك بفراسته العميقة ؛ وقال له : ماسمك ؟ فأجاب الشافعي : محمد ، فقال مالك يامحمد اتق الله ، واجتنب المعاصي ، فإنه سيكون لك شأن من الشأن " .

وروي أن الخليفة أبا جعفر المنصور استدعى ابن طاوس ومالك بن أنس ؛ رحمهما الله ، فلما دخلا عليه ، أطرق ساعة ثم التفت إلى ابن طاوس فقال له : حدثني عن أبيك يابن طاوس ، فقال حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله " ، فأمسك ساعة ، قال

مالك : فضممت ثيابي مخافة أن يلأتي من دمه ، ثم التفت إليه أبو جعفر فقال : عظني ياابن طاوس ، قال : نعم ياأمير المؤمنين إن الله تعالى يقول : " ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب، إن ربك لبالمرصاد " (1) . قال مالك : فضممت ثيابي مخافة أن يلأتي من دمه ، فأمسك عنه ، ثم قال : ناولني الدواة ، فأمسك ساعة حتى اسودّ بيننا وبينه ثم قال : ياابن طاوس ! ناولني هذه الدواة ، فأمسك عنه ، فقال : ما يمنعك أن تناولنيها ؟ فقال : أخشى أن تكتب بها معصية لله فأكون شريكك فيها . فلمّا سمع ذلك قال : قُوما عني ، قال ابن طاوس : ذلك ما كنا نبغي منذ اليوم ، قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس فضله " .

ولما سئل مالك عن قتال الخارجين على الخليفة أيجوز قتالهم؟ قال : " نعم إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز " قالوا : فإن لم يكونوا مثله ؟ قال : دعهم ينتقم الله من ظالم لظالم ، ثم ينتقم من كليهما " . وذلك اتقاء للفتنة التي هي أشد من ظلم الحاكم .

محنة مالك : كان الإمام مالك قد أصابته محنة شديدة زمان الخليفة أبي جعفر المنصور ؛ إذ قد تعرض للضرب

---

(1) سورة الفجر الآية 6 - 14 .

والتعذيب والإهانة ، والسبب في ذلك أنه يحدث بقولـــه - عليـــه الصـــلاة والســـلام - : " ليس على مستكره طلاق "(1) ، فنهاه المنصور عن التحدث بهذا الحديث وما في معناه ، لأن التحدث به يجد فيه أعداء المنصور مستندا شرعيا لدفع الناس إلى التخلص عن بيعته ماداموا مكرهين عليها .

بيد أن الإمام مالكا لم يستجب لما نهاه عنه هذا الأخير ، بل استمر في التحدث بالحديث المذكور دون أن يخشى في الله لومة لائم ، فبعث المنصور إلى والي المدينة (2) يأمره بأن يشدّد الرقابة على الإمام مالك ، فدس الوالي إلى هذا الإمام من يسأله عن رأيه في حكم يمين المستكره ؟ فأجاب الإمام بأنه لا يمين على مستكره (3) ، فنقل المدسوس هذا القول إلى الوالي وشهد على قائله عنده ، فأمر الوالي بإحضار الإمام ، وضربه بالسوط سبعين ضربة أرهقته وأضجعته ، بل قد كانت السبب في انخلاع كتفه ، وذلك سنة سبع وأربعين ومائة هجرية وقد أغضب هذه الفعلة النكراء أهل المدينة قاطبة فثاروا وهاجوا لانتهاك حرمة إمام " دار الهجرة " بينهم ، وما بلغ الخبر مسمع أبي جعفر المنصور ببغداد حيّره وأقلقه وقيض مضجعه ، وأنكره

---

(1) قال عليه الصلاة والسلام : " لا طلاق ولا عتاق في إغلاق " أي في إكراه لأن المكرة يغلق عليه الباب ، ويضيق عليه غالبا حتى يأتي بما أكره عليه ، والحديث رواه أبو داوود وابن ماجة وغيرهما ، عن عائشة أو المؤمنين .

(2) هوجعفر بن سليمان أحد أبناء عم أبي جعفر المنصور .

(3) قال عليه الصلاة والسلام : " ليس على مقهور يمين " رواه الدار قطيني عن أبي أمامة .

وحلف أنه لم يأمر بما حدث ، ولم يرض به بعد حدوثه ، وفي الحال أمر بعزل والي المدينة من ولايته ، كما أمر بإحضاره من هناك إلى بغداد على قتب (1) ، جزاء ما فعله بالإمام ثم أرسل إلى الإمام المجلود ظلما يعتذر ويستقدمه إلى بغداد ، فرفض الإمام فكرة الاستقدام ، واتفق كل منهما على أن يلتقيا بـ " منى " في موسم الحج المقبل ، وجاء الموسم ودخل الإمام مالك على أبي جعفر المنصور في قبته المضروبة في " منى " فنزل المنصور عن مجلسه المعتاد إلى البساط الموضوع دونه ، إكراما للإمام ، وكان لابسا ثيابا قصيرة ، ولم يلبس ثيابه المعتادة ، إكراما له أيضا ، ولم يكن معه في القبة سوى حارس واحد بيده سيف ، فرحب الخليفة بالإمام وقربه ، وأجلسه بجانبه وفاتحه بقوله : " والله الذي لا إله إلا هو ياأبا عبد الله (2) ما أمرت بالذي كان ، ولا علمته قبل أن يكون ، ولا رضيته إذ بلغني .. ياأبا عبد الله لا يزال أهل الحرمين بخير ماكنت بين أظهرهم وإنني أخالك أمانا لهم من عذاب الله وسطوته ، ولقد رفع الله بك عنهم وقعة عظيمة ، فإنهم أسرع الناس إلى الفتن وأضعفهم عنها " قاتلهم الله أنى يؤفكون "(3) وقد أمرت أن يؤتى بجعفر عدو الله من المدينة على قتب وأمرت بضيق محبسه والمبالغة في امتهانه ، ولا بد أن أنزل به من العقوبة أضعاف

---

(1) قتب: الإكاف على قدر سنم الجمل .

(2) أبا عبد الله : كنية الإمام مالك .

(3) سورة التوبة الآية 30 . سورة المنافقين الآية 4 .

ما ناله منك ... " ، فحمد الإمام مالك الله تعالى على كل حال وصلى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزه الخليفة عن الأمر بما أصابه أو الرضا به ، وقال : " عافى الله أمير المؤمنين ، وأكرم مثواه ، وقد عفوت عنه لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقرابته منك " . فقال المنصور: " وأنت عفا الله عنك ووصلك " .

ويحدثنا الإمام مالك عن الخليفة أبي جعفر المنصور فيقول : " ... ثم فاتحني فيمن مضى من السلف والعلماء فوجدته أعلم الناس بالناس ، ثم فاتحني في العلم والفقه ، فوجدته أعلم الناس بما اجتمعوا عليه وأعرفهم بما اختلفوا فيه ، حافظا لما روي واعيا لما سمع " ، ثم قام الخليفة فودع الإمام بعد ما أمر له بألف دينار ولابنه محمد بألف دينار أيضا . وقد جلبت هذه المحنة لمالك من الناس محبة وإجلالا وتعظيما ، وزادته عند الحكام مكانة ورفعة ومهابة وترضية ! حتى إن المنصور كان يأمر بالمناداة على الناس في موسم الحج : " لا يفتي الناس إلا مالك وابن أبي ذئب " (1) .

أسرة مالك : لم يتزوج الإمام مالك حرة قط ، بل قد تزوج أمَة عن طريق " التسري " وكان يعتز بزوجته ، ويحبها حب الزوج المخلص ، فأنجبت له ثلاثة أبناء وبنتا واحدة ، فأما

---

(1) ابن أبي ذئب : هو الحارث محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة المدني من تابعي التابعين : كان عالما فقيها ورعا وصدوقا ، وكان يلقب بـ " فقيه المدينة " ولد سنة 80 وتوفي بالكوفة سنة 159 هـ .

الأبناء فهم : محمد ، وحماد ، ويحيى ، وأما البنت فهي فاطمة الملقبة بـ "أم البنين " التي كانت عالمة فقيهة ، تحفظ كتاب " الموطأ " ، كما برزت في اللغة العربية تعبيرا وأسلوبا ، وقد كانت - عندما يجلس أبوها للدرس في منزله - تجلس هي وراء باب المنزل ، لتسمع قراءة من يقرأ " الموطأ " على أبيها ، فإذا لحن القارئ في قراءته أو أخطأ في تعبيره قرعت الباب ، فيأمر أبوها القارئ بإعادة قراءته حتى يصحح خطأه فيها ، وقد حظيت فاطمة بهذه الحظوة العلمية دون إخوتها الثلاثة بفضل الله واجتهادها . وهذا ما جعل أباها يتعجب ويقول : " إنما الأدب أدب الله ، هذا ابني .. وهذه ابنتي !! .

وفاة مالك : مرض مالك اثنين وعشرين يوما ، فدخل عليه -ليلة وفاته - بكر بن سليمان الصواف في جماعة بقصد العيادة ، فقالوا له : يا أبا عبد الله ، كيف نجدك اليوم ؟ فرد عليهم بقوله : " ما أدري كيف أقول لكم ؛ إلا أنكم ستعاينون غدا من عفو الله ماليس في حساب ، ثم نطق بالشهادتين ، وقال : لله الأمر من قبل ومن بعد "(1) ، وأسلم روحه الزكية إلى بارئها .. وكانت وفاته بـ " المدينة المنورة " في اليوم الرابع عشر من شهر ربيع الأول لسنة تسع وسبعين ومائة هجرية ، الموافقة لسنة خمس وتسعين وسبعمائة للميلاد ، ودفن بـ " البقيع " ، رحمه الله وجعل الجنة مثواه !

(1) سورة الروم الآية 4 .

رسالة الإمام مالك بن أنس
في آداب الدنيا والدين
إلى الخليفة العباسي هارون الرشيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد ، فإني كتبت إليك (1) بكتاب لم آلك (2) فيه رشدا ، ولم أدخرك (3) فيه نصحا (4) تحميدا لله ، وأدبا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتدبره بعقلك وردد فيه بصرك وارعه (5) سمعك ، ثم أعقله بقلبك وأحضر فهمك ، ولا تغيبن عنه ذهنك ، فإن فيه الفضل في الدنيا ، وحسن ثواب الله تعالى في الآخرة .

اذكر نفسك في غمرات الموت وكربه ، وماهو نازل بك منه ، ومأأنت موقوف عليه بعد الموت من العرض(6) على الله سبحانه ، ثم الحساب ثم الخلود بعد الحساب ، وأعد لله عز وجل مايسهل به عليك أهوال تلك المشاهد وكربها (7) ، فإنك

---

(1) ضمير المخاطب يعود على الخليفة هارون الرشيد .

(2) لم آلك : لم أقصر في رشدك .

(3) لم أدخرك : لم أخبئ عنك نصيحة .

(4) تحميدا الله : الحمد لله مرة بعد مرة .

(5) وأرعيه : إستمع لما كتبه إليك من هذه الرسالة بانتباه .

(6) المثول والشخوص أمام الله عز وجل يوم القيامة .

(7) تلك المشاهد وكربها :مظاهر القيامة وأحزانها ، جهارا وعلانية أمام جميع الناس

لو رأيت أهل سخط الله تعالى ، وماصاروا إليه من ألوان العذاب ، وشدة نقمته عليهم ، وسمعت زفيرهم (1) في النار وشهيقهم(2) مع كلوح(3) وجوههم ، وطول غمهم ، وتقلبهم في دركاتها(4) على وجوههم ، لا يسمعون ولا يبصرون ، ويدعون بالويل(5) والثبور(6) وأعظم من ذلك حسرة(7) إعراض الله تعالى عنهم وانقطاع رجائهم ، وإجابته إياهم بعد طول الغم بقوله : " اخسئوا فيها(8) ولا تكلمون (9)" لم يتعاضمك (10) شيء من الدنيا إن أردت النجاة من ذلك ، ولا آمنك من هوله ، وقدمت في طلب النجاة منه جميع مال أهل الدنيا - كان (11) في معاينتك ذلك صغيرا ولو رأيت أهل طاعة الله تعالى وماصاروا إليه من كرم الله - عز وجل -

---

(1) زفيرهم : إذخال أنفاسهم .

(2) شهيقهم : إخراج أنفاسهم .

(3) كلوح وجوههم : شدة عبوسهم مما حل بهم من عذاب أليم.

(4) دركاتها : منازل أهلها ، والضمير يعود على نار جهنم ، قال محمد الرازي في " مختار الصحاح " : والنار دركات والقعر الإجر درك " .

(5) بالويل : بالفضيحة وحلول الشر.

(6) والثبور : الهلاك والخسران .

(7) حسرة : ندامة وتلهفا .

(8) واخسئوا : أنزجوا وأبعد في النار إذ لا لا مهانه .

(9) سورة المؤمنون الآية 108 .

(10) يتعاظمك : لم يعظم عليك .

(11) كان : ومابعدها جواب : لورأيت أهل سخط الله ... "

ومنزلتهم مع قربتهم من الله - عز وجل - ونضرة وجوههم (1) ونور ألوانهم وسرورهم بالنعيم المقيم والنظر إليه والمكانة منه ، لتقلل (2) في عينيك عظيم ما طلبت به صغير ما عند الله ولصغر في عنيك جسيم ماطلبت به صغير ذلك من الدنيا ، فاحذر على نفسك حذرا غير تغرير ، وبادر بنفسك قبل أن تسبق إليها ، وما تخاف الحسرة منه عند نزول الموت ، وخاصم نفسك على مهل وأنت تقدر - بإذن الله - وعلى جر المنفعة إليها ، وصرف الحجة عنها قبل أن يتولى الله حسابها ، ثم تقدر على صرف المكروه عنها ، واجعل من نفسك لنفسك نصيبا بالليل والنهار وصل من النهار اثنتي عشرة ركعة واقرأ فيهن ما أحببت ، إن شئت متفرقات ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من صلى من النهار اثنتي عشرة ركعة بنى الله له بيتا في الجنة " ، وصل من الليل ثمان ركعات بجزء من القرآن ، واعط كل ركعة حقها ، والذي ينبغي فيها من تمام الركوع والسجود ، وصلهن مثنى مثنى ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه كان يصلي من الليل ثمان ركعات ، والوتر ثلاث ركعات - سوى ذلك - يسلم من كل اثنتين ، وصم ثلاثة من كل شهر : الثالث عشر ، والرابع عشر والخامس عشر ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله

---

(1) نظرة وجوههم : حسنها .

(2) لتقلل في عينيك ... " : جواب لو رأيت أهل طاعة الله ... " .

عليه وسلم أنه قال : " ذلك صيام الدهر(1) ، وأعط زكاة مالك طيبة بها نفسك حين يحول عليه الحول ، ولا يؤخرها بعد حلها ، وضعها فيمن أمر الله تعالى ولا تضعها إلا في أهل ملتك من المسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله تعالى لم يرض من الصدقة بحكم نبي ولا غيره حتى حدها هو على ثمانية أجزاء ، قال عز وجل : " إنما الصدقات(2) للفقراء (3) والمساكين (4) والعاملين عليها(5) والمؤلفة قلوبهم (6) وفي الرقاب(7) والغارمين(8) وفي سبيل الله(9) وابن السبيل(10) " ، واحجج حجة الإسلام من أطيب مالك وأزكاه عندك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيبا ، وبلغني أن قوله تعالى : " فمن تعجل في يومين فلا إثم عليه ، ومن

---

(1) قال عليه الصلاة والسلام : " من صام ثلاثة أيام من كل شهر فقد صام الدهر كله رواه الرمذي وابن ماجة والنسائي والإمام أحمد والضياء المقدسي ، عن أبي ذر العفاري وابن هريرة وغيرهما .

(2) الصدقات : الزكوات .

(3) للفقراء : هو الذين لا مال لهم ولا كسب يقع موقعا من حاجتهم .

(4) والمساكين : هو الذين لهم مال أو كسب لا يكفيهم .

(5) العاملين عليها : الشاعين في تحصيلها وجمعها من أيدي الأغنياء .

(6) والمؤلفة قلوبهم : هم ضعفاء الإيمان من المسلمين ، وفقراء المافرين لكي سلموا

(7) وفي الرقاب : في فك رقاب المستعبدين .

(8) والغرمين : الذين عليهم دين ولم يجدوا مايستددونه .

(9) وفي سبيل الله : وفي الجهاد لإعلاء كلمة الله .

(10) وابن السبيل : المسافر المنقطع عن ماله (سورة التوبة الآية 60) .

تأخر فلا إثم عليه (1) " غفر له (2) .

مرْ بطاعة الله ، وأحبب عليها ، وانهَ عن معاصي الله وابغض عليها ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " مروا بالمعروف (3) وانهوا عن المنكر ، فإنما هلك من كان قبلكم بتركهم عن المعاصي ، ولم ينههم الربانيون (4) والأحبار(5) فمروا بالمعروف ، وانهوا عن المنكر من قبل أن ينزل بكم الذي بهم ، فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقدم أجلا ، ولا يقطع رزقا " ، أحسن إلى من خولك (6) الله تعالى واشكر تفضيله إياك عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يصلي فانصرف وقال : " أطت (7) السماء ، وحق لها أن تئط ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا عليه جبهة ملك ساجد ، فمن كان له خول (8) فليحسن إليه ، ومن كره فليستبدل ، ولا تعذبوا خلق الله " ، ألزم الأدب من وليت أمره وأدبه ، ومن يجب عليك النظر في أمره ، فإنه

---

(1) سورة البقرة الآية 203 .

(2) غفر له : غفران له .

(3) بالمعروف : كل ما عرف من طاعة الله ومن الدعاء إلى توحيده ، والأمر بالعبادة والعدل بين الناس .

(4) الربانيون : هم العباد والعلماء من اليهود .

(5) والأحبار : هم علماء اليهود وفقهاؤهم .

(6) خولك : جعلهم تحت طاعتك وسلطانك .

(7) أطت : صوتت .

(8) خول : خدم ، جمع خائل ، وقد يطلق على الخادم الواحد كما هو هنا .

بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للفضل بن العباس: " لا ترفع عصاك عن أهلك وأحبهم في الله " ، لا تستسلم إلى الناس واستجرهم (1) في طاعة الله ، لاتغمض(2) الناس ، واخفض لهم جناحك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ألا أحدثكم بوصية نوح وابنه قال : آمرك باثنين ، وأنهاك عن اثنين ، آمرك بقول لا إله إلا الله فإنه لوكانت في كفة والسموات والأرض في كفة وزنتها ، ولو وضعتها على حلقة(3) قصمتها ، وقل سبحان الله وبحمده ، فإنها عبادة الخلق ، ولها تقطع أرزاقهم ، فإنهما يكثران لمن قالهما الولوج (4) على الله عز وجل ، وأنهاك عن الشرك فإن الله محتجب عنهما " ، فقال له بعض أصحابه : أمن الكبر أن يكون لي الدابة النجيبة ؟(5) قال : "لا " قال : أمن الكبر أن يكون لي الثوب الحسن ؟ قال : "لا " قال : أفمن الكبر أن يكون لي الطعام أجمع عليه الناس ؟ قال : "لا " إنما الكبر أن تسفه (6) الحق وتغمص الخلق " وإياك والكبر والزهو فإن الله عز وجل لا يحبهما ، بلغني عن بعض العلماء أنه قال : يحشر

---

(1) إستجرهم : استخدمهم واستعملهم .
(2) لا تغمص : لا تستصغر ولا تحتقر .
(3) الحلقة : الدرع .
(4) الولوج : الدخول .
(5) النجيبة : الكريمة العتيقة التي يسابق عليها .
(6) تسفه : تجهل .

المتكبرون يوم القيامة في صور تطؤهم الناس في سور الذر(1) تطؤهم الناس بتكبرهم على الله عز وجل . لاتأمن على شيء من أمرك من لا يخاف الله (2) ، احذر بطانة السوء (3) وأهل الردى (4) على نفسك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " ما من نبي ولا خليفة إلا وله بطانتان ، بطانة تأمر بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا تألوه خبالا(5) ، وهو مع التي استولت عليه ، ومن وقي بطانة السوء فقد وقي (6) " واستبطن أهل التقوى من الناس ، وأكرم ضيفك فإنه يحق عليك إكرامه .

وارع حق جارك ببذل المعروف ، وكف الأذى عنه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه " ، وتكلم بخير أو اسكت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من كان يؤمن بالله واليوم

---

(1) في صور الذر : على هيئة النمل الأحمر الصغير .

(2) جاء في الحديث الشريف " الإيمان لمن لا أمانة به ولا دين لمن لا عهد له " رواه ابن حبان والإمام أحمد عن أنس بن مالك.

(3) بطانة السوء : بطانة الرجل أهله وخاصته وأصحابة .

(4) الردي : الهلاك .

(5) خبالا : فسادا أي لا تقصر في إفساده وفتنته .

(6) وفي رواية النسائي عن أبي هريرة : " ما من وال إلا وله بطانتان : بطانة بأمره بالمعروف وتنهاه عن المنكر ، وبطانة لا يألوه خبالا ، فمن شرها فقد وقي وهو إلى من يغلب عليه منهما.

الآخر فليقل خيرا أو ليمسك (1) " ، واتق فضول المنطق ، فإنه بلغني عن ابن مسعود أنه قال : " أنذركم فضول المنطق ، وأكرم من وادك وكافئه بمودته ، وإياك والغضب في غير الله ، لا تأمر بخير إلا بدأت بفعله ولا تنه عن سوء إلا بدأت بتركه ، دع من الأمر ما لا يعنيك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ".

صل من قطعك واعف عمن ظلمك واعط من حرمك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنها أفضل أخلاق الدنيا والآخرة " ، اتق كثرة الضحك فإنه يدعو إلى السفه(2) ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ضحكه كان تبسما ، لا تمزح فتذم نفسك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا أمزح ولا أقول إلا حقا " ، لا تخالف إلى مانهيت عنه ، وإذا نطقت فأوجز ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " وهل يكب الناس في نار جهنم إلا هذا - يعني لسانه - ، لا تصاعر خدك للناس(3) فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

---

(1) وفي رواية البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي شريح : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحسن إلى جارة ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه ، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليسكت " .

(2) السفه : الجهل وخفة الحلم .

(3) فيه إشارة إلى قوله تعالى : ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور (سورة لقمان الآية 18) .

" إن أهل الجنة كل هين لين ، سهل طلق (1) ، اترك من أعمال السر مالا يحسن بك أن تعمله في العلانية ، اتق كل شيء تخاف فيه تهمة في دينك ودنياك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التهم " ، أقلل طلب الحوائج من الناس ، فإن في ذلك غضاضة(2) ، بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل : " لا تسأل الناس " ، وليكن مجلسك بيتك أو مسجدك فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " المساجد بيوت المتقين " .

لا تكثر الشخوص(3) من بيتك إلا في أمر لا بد منه فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ستة مجالس المسلم ضامن على الله ما كان في شيء منهن : في سبيل الله، أو في بيت الله ، أو في عيادة مريض ، أو شهود جنازة ، أو جمعة(4) ، أو عند إمام مقسط يعزره ويوقره(5) " ، أحسن خلقك مع أهلك ومن اعتز بك ، فإن ذلك رضا لربك ومحبة في أهلك ومثراة(6) في مالك ، ومنسأة(7) في أجلك ، فإنه بلغني

---

(1) طلق : ضاحك مشرق الوجه .

(2) غضاضة : ذلة منقصة .

(3) الشخوص : الخروج والذهاب .

(4) الذي للسيوطي في الجامع الصغير " أو في بيته " بدل " أو جمعة " .

(5) رواه الطبراني عند عبد الله بن عمرو بن العاص .

(6) مثراة : مكثرة وغني .

(7) منسأة : في تأ خير في الأجل وتطويل العمر .

عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك ، أحسن البشر(1) إلى عامة الناس واتق شتمهم وغيبتهم ، فإن الله تعالى قال : " أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه (2)..." الآية(3)، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تشتم الناس " ، اتق أهل الفحش ومجالسة أهل الردى ، ومحادثة الضعفة من الناس ، فإنه بلغني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : " اعتبر الناس بأخدانهم(4) فإنما يخادن(5) الرجل مثله ، أكرم اليتيم وارحمه واعطف عليه ، فإنه قد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من كفل يتيما له أو لغيره (6) كنت أنا وهو في الجنة كهاتين(7) " وأشار بأصبعيه فضمهما ، اعرف لابن السبيل(8) حقه ، واحفظ وصية الله تعالى فيه ، فإنه بلغني أن أول من ضاف الضيف إبراهيم

---

(1) البشر : طلاقة الوجه وإشراقه .

(2) سورة الحجراتالآية 12 .

(3) الآية بتمامها : يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم، ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم " .

(4) بأخدانهم : بأصحابهم .

(5) يخادن : يصاحب .

(6) له أو لغيره : في أسرته أو خارج أسرته ، واليتيم من مات أبوه وأمه أو كلاهما قبل بلوغه أما الحيوان فهو من فقد أمه فقط .

(7) رواه أيضا البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأبو داوود عن سهل بن سعد

(8) إبن السبيل : هو المسافر في غير معصية .

الخليل عليه السلام(1) ، أعن المظلوم ، وانصره مااستطعت ، وخذ على يد الظالم وادفعه عن ظلمه فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام " ، اتق اتباع الهوى في ترك الحق ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " إني أخاف عليكم اثنين : اتباع الهوى وطول الأمل ، فإن اتباع الهوى يصد عن الحق ، وطول الأمل ينسي الآخرة ، أنصف الناس من نفسك ولا تستطل عليهم ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أشرف الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال ، مواساة الأخ من المال وإنصاف الناس من نفسك " ، واغضض بصرك عن محارم الله ، فإنه بلغني عن علي - كرم الله وجهه - أنه قال : " لا تتبع النظرة فإنما لك النظرة الأولى ، وليست الأخرى " ، اتق المطعم الوبي(2) والمشرب الوبي ، والملبس الوبي ، فإن ذلك تذهب أنفته(3) وتبقى عاقبته ، وإن الله سبحانه أدب رسله فقال : " كلوا من الطيبات (4) واعملوا صالحا " ، وقال النبي عليه الصلاة والسلام : " من أكل بأخيه المسلم أكلة أطعمه الله مكانها أكلة

---

(1) قال الله تعالى : هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين إذخلوا عليه فقالوا سلاما ، قال سلام قوم منكرون ، فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون " سورة الذريات الآيات 34 - 35 - 36 - 37 ".

(2) الوبى : المرض العام والمراد به هنا مطلق الحرام .

(3) أنفته : أوله .

(4) من الطيبات : مما هو حلال .

من النار ، ومن سمع (1) بأخيه المسلم سمع الله به يوم القيامة، ومن لبس بأخيه المسلم ثوبا ألبسه الله مكانه ثوبا من نار " ، أقبل عذر من اعتذر إليك وارجع عما كرهت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من اعتذر إلى أخيه المسلم فلم يعذره كان عليه مثل وزر صاحب مكس(2)" ، لتكن يدك العليا على كل من خالطت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : اليد العليا خير من اليد السفلى " ، أصحب الأخيار ، فإنهم يعينونك على أمر الله عز وجل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما تحاب وجلان في الله إلا كان أفضلهما أشدهما حبا لصاحبه " ، صل رحمك وإن قطعك ، ولا تكافئه بمثل ما أتي إليك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم " أن رجلا قال له : إن لي أقرباء ، أعفو ويظلمونني ، وأصل ويقطعونني وأحسن ويسيئونني ، أفأكافئهم ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : " إذن تتركوا جميعا ، ولكن إذا أساءوا فأحسن ، فإنه لن يزال لك عليهم من الله ظهيرا(3)" ، ارحم المضطر والغريب والمحتاج وأعنه على مااستطعت من أمره ، فإنه بلغني عن ابن عباس أنه قال : كل معروف(4) صدقة ، ارحم السائل ، وارده من بابك

---

(1) مسع : شهر

(2) المكس : الضريبة التي يأخذها الماكس ، ويدخل في ذلك الضرائب الجمركية وأمثالها مما هو دمفوع ومأخوذ من غير مقابل .

(3) ظهير : معين ونصير .

(4) معروف : العطاء والإحسان .

بفضل معروفك ، بالبذل منك ، أو قول معروف تقوله له ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " رد عنك مذمة السائل بمثل رأس الطير من الطعام "(1) ، لا تزهد في المعروف عند من تعرفه وعند من لا تعرفه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا تزهد في المعروف ولو أن تصب من دلوك في إناء المستقي " ، أرد بكل مايكون منك من خير إلى أحد الله ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن قوله عز وجل : " فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون ويمنعون الماعون "(2) ، قال " إن المنافق هو الذي إن صلى راءى ، وإن فاتته لم يبلغ إليها " ، "ويمنعون الماعون " قال : " الماعون الزكاة التي فرضها الله عز وجل " ، إياك والرياء ، فإنه بلغني أنه لا يصعد عمل المرائي إلى الله عز وجل ولا يزكيه عنده ، وإن استطعت أن تعمل بعلم ما علمت فيها بينك وبين الله فافعل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " نضر(3) الله امرؤا سمع مقالتي فوعاها حتى يبلغها غيره ، فرب غائب أحفظ من شاهد ، ورب حامل فقه غير فقيه "(4) ، لا يغفل قلب امرئ مسلم على ثلاث

---

(1) وفي رواية البخاري ومسلم عن عائشة أم المؤمنين " ردوا مدمة السائل ولو بمثل رأس الدبابة "

(2) سورة الماعون الآيات 4-5-6 "

(3) نضر : حسن ونور .

(4) وفي رواية الترمذي والضياء المقدس ، عن بن ثابت : " نظر الله أمر أسمع منا حد يث فحفظه حتي يتلغه غيره ، قدب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب =

خصال : إخلاص العمل لله ، والنصيحة للإمام العادل ، والنصيحة لعامة المسلمين (1) ، فإن دعوتهم تحيط من ورائهم ، وإياك وسوء الخلق ، فإنه يدعوا إلى معاصي الله تعالى وقد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " خياركم أحسنكم أخلاقا " إخضع لله إذا خلوت بعملك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أن ملكا أتاه فقال : إن ربك يقرئك السلام ، ويقول : " إن شئت أجعلك ملكا نبيا أو عبدا نبيا ، فأشار إليه جبريل عليه السلام أن تواضع " ، فما أكل متكئا حتى مات ، لا تظلم الناس فيديلهم (2) الله عليك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال : ماظلمت أحدا أشد علي ظلما من أحد لا يستعين علي إلا بالله تعالى ، إحذر البغي (3) فإنه عاجل العقوبة ، فقد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " إن أعجل الخير ثوابا صلة الرحم ، وإن أعجل الشر عقوبة اليمين الغموس (4) تترك الديار بلاقع (5) " لا تحلف بغير الله في شيئ ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله

= حامل فقه ليس تفقيه "

(1) فيه إشارة قوله عليه الصلاة والسلام : " الدين النصيحة قالوا لمن يارسول الله قال : لله وكتابه ورسوله وأئمة المسلمين وعامتهم وراه مسلم وغيره عن تميم الداري وغيره .

(2) فيديلهم : فيغلبهم الإدالة هي الغلبة .

(3) البغي : الظلم والتعدي .

(4) اليمين : الغموس : التي يتغمد الحالف فيها الكذب .

(5) بلاقع : فقرا

عليه وسلم أنه قال : " لا تحلفوا بابائكم ، ليحلف حالف بالله أو ليسكت " ولا تحلف بالله في كل شيء فإنه بلغني أن ذلك قوله تعالى : " لا تجعلوا الله عرضة لإيمانكم "(1) إرحم الناس يرحمك الله ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال : " من لا يرحم الناس لا يرحمه الله " أحبب طاعة الله يحبك الله ويحببك إلى خلقه ، قال عز وجل لنبيه : " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله (2) وقال عليه السلام : " إن الله جعل قرة عيني (3) في السجود " وقال بعض العلماء: ماسر عبد قط سريرة إلا ألبسه الله رداءها ، ولا أيسر سريرة شر قط إلا ألبسه الله رداءها " (4) وليكن عليك السكينة والوقار في منطقك ومجلسك ومركبك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال والناس حوله : " عليكم بالسكينة " أعط ذابتك - إذا ركبتها حظها من الأرض وحظها من المقصد عليها ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم - إنه قال : " إذا ركبتم هذه الدواب العجم فأعطوها حظهامن الأرض " عليك بالحلم والأغضاء عما كرهت ، ولا تتبع ذلك من أحد بلغك عنه أذى ولا تكافئه ، فإن في ذلك الفضل في الدنيا

---

(1) سورة البقرة الآية 223 .

(2) سورة آل عمران الآية 21 .

(3) قرت عيني : يقال قرت عنيه تقر قرة وقرورا بردت وانقطع بكاؤها ، ورأب ماكانت متشوقة إليه ، وذلك كناية في الفرح والسرور .

(4) هذا ما يفسره قول زهير بن أبي سلمى المزني (من بحر الطويل) :

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وإن خالها تخفى على الناس تعلم

والآخرة ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " إن الله يحب الحليم الحيي والعفيف(1) المتعفف(2) " .

أدفع السيئة بالتي هي أحسن ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أيها السلمي(3) أتق العقوق وقطيعة الرحم ، فإن في ذلك شيئا في الدنيا وتباعدا في الآخرة " بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " اشتكت الرحم إلى الله عز وجل ، ممن يقطعها ، فرد الله عليها : أما ترضين أن أصل من وصلك ، وأقطع من قطعك ؟ " إذا عضبت من شيء من أمر الله فاذكر تواب الله على كظم الغيظ ، قال عز وجل : " الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين"(4) وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال: " ما امتلأ رجل غيظا فكظمه لله إلا ملأه الله رضوانا يوم القيامة " وإذا وعدت موعد في طاعة الله فلا تخلفه ، وإذا قلت قولا فيه رضي الله فأوف به ودم عليه ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من تكفل لي بست أتكفل له بالجنة إذا حدث لم يكذب ، وإذا وعد لم يخلف ، وإذا أتتمن لم يخن ، وغض بصره ، وحفظ فرجه ، وكف يده " إذا حلفت على يمين ليست من طاعة الله فلا تبر بها(5)

---

(1) العفيف : الذي يجتنب الحرام .

(2) المتعفف : الذي لا يسأل الناس ، وهو في أشد الحاجة .

(3) السلمي :محب السلام .

(4) سورة آل عمران : الآية 134 .

(5) فلا تبر بها : فلا تمضها على الصدق .

وكفرها (1) فإنه قد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لانذر في معصية ، وكفارتها كفارة يمين ، والنذر يمين"(2) وإذا حلفت على يمين ثم رأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير ، وكفر عن يمينك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه قال ذلك إياك والتزيد في القول ، وأن تقول قولا وأنت تعلم أنه لم يكن ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : الإمام(3) الكذاب ، والعائل (4) المزهو ، والشيخ الزاني " بر والديك (5) وخصهما منك بالدعاء في كل صلاة وأكثر لهما الإستغفار وابدأ بنفسك قبلها ، فإنه إبراهيم عليه السلام قال : " ربنا اغفر لي ولوالدي " (6) فبدأ بنفسه قبل والديه ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من سره أن ينسأله(7) في عمره يزاد في رزقه فليتق الله وليصل رحمه "

---

(1) كفرها : تكفير اليمين فعل ما يجب بالحنث فيها ، وهو إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة ، أي تحرير نسمة ، فإن عجز الحانث عن ذلك فليصم ثلاثة أيام بالتتابع .

(2) النذر : لغة الإيجاب والإلتزام ، شرعا إلتزام ما لا يلزم من القرب ، وهو على قسمين : نذر طاعة يجب الوفاء به ، ونذر معصية لا يجب الوفاء به ، ولا كفارة على الحانث فيه .

(3) السلطان الحاكم .

(4) الفقير .

(5) بر الوالدين : طاعتهما .

(6) سورة إبراهيم الآية 41 .

(7) ينسأله : يطول عمر بجعل البركة فيه وفي حياته .

أشكر الناس ماأتوا إليك من خيرهم إن قدرت عليه فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من لم يشكر الناس لم يشكر الله " إذا ركبت دابة (1) فوضعت رجلك في الركاب فقل : باسم الله ، وإذا استويت راكبا فقل سبحان الذي سخر لنا هذا وماكنا له مقرنين " (2) ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك كلما ركب دابة إذا أكلت وشربت فاذكر إسم الله ، فإن نسيت في أول حالك فاذكره إذا ذكرت ، فإنه بلغني عن إبن مسعود رضي الله عنه - أنه قال تذكر اسم الله حين تذكر ، فإنه يحول بين الخبيث (3) وبين أن يأكل معه ويتقيأ ماأكل ، فإذا فرغت فقل : الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه كان يقول ذلك إذا أكل وشرب ، وإذا أكلت ومعك آخرون فكل مما يليك بيمينك ، ولا تأكل من فوق الطعام ولا من بين يدي أحد فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لرجل يفعله : " أذكر اسم الله ، وكل مما يليك ، وكل بيمينك ، ولا تأكل بشمالك ، وبلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنما أكلة الشيطان " لا تسافر ماستطعت إلا في يوم الخميس ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم - أنه كان يستحب أن يسافر يوم الخميس لا

---

(1) دابة : يصدق على كل مركوب من حيوان وجماد كالمراكب العصرية المخترعة .
(2) سورة الزخرف الآية 13 ، ومقونين : مطيقين .
(3) الخبث : الشيطان

يسافر إلا فيه ، إذا أصابك كرب فقل : ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول ذلك عند الكرب ، احترس ممن يقرب إليك بالنميمة ويبلغ عن الناس ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ملعون من لعن أباه ، ملعون من لعن أمه ، ملعون من لعن غير تخوم (1) الأرض ، وملعون كل صقار (2) ، وهو النمام ، لا تجر ثيابك ، فإن الله لا يحب ذلك فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من جر ثيابه خيلاء (3) لم ينظر الله إليه يوم القيامة "

أطع الله في معصية الناس ، ولا تطع الناس في معصية الله، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق " إذا أصابتك حزن أو سقم أوذلة أو لأواء (4) يعني الجوع فقل : الله ربي لا أشرك به شيء ثلاث مرات ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه كان يأمر بذلك من أصابه شيء من ذلك ، اصبر على ماأصابك من فجائع (5) الدنيا وأحزانها ، لقوله تعالى : " إنما

---

(1) تخوم الأرض : حدودها .

(2) الصقار :هو من تصطاد كلام هذا فينقله إلى ذلك بعد أن يزيد فيه .

(3) الخيلاء : بضم الخاء وكسرها وفتح الياء ، العجب والكبر

(4) الأواء : الشدة وفي الحديث : من كانت له ثلاث بنات فصبر على لأوائهن كن له حجابا من النار "

(5) فجائع : الرزيئة والمصيبة .

يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب "(1) والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد لا تمارين (2) أحد وإن كنت محقا ، فإنه بلغني أن قول الله عز وجل : " فلا رفث(3) ولا فسوق ولا جدال في الحج "(4) إنه المراء (5) إذ هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : " إذا هممت بأمر من أمور الدنيا ففكر في عاقبته ، فإن كان رشدا فأمضه ، وإن كان غيا فانته عنه " إياك والتجريد (6) خاليا ، فإنه ينبغي لك أن تستحي من الله إذا خلوت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا أحب أن يلي لي شيئا من لا يستحي من الله في الخلاء " وإياك أن تدخل الحمام والماء إلا بإزار ، ولا تدخل معك أحد الحمام إلا بإزار ولن تقدر على ذلك ، فإن لم تقدر فغض طرفك (7) عن كل أحد كان مكشوفا فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يحل لإمرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يدخل الحمام إلا بإزار " أفش السلام وإن استطعت أن يسبقك أحد إليه فافعل تعط بذلك فضلا عن

---

(1) سورة الزمر الآية 10 .

(2) لا تمارين : لا تجادلن.

(3) الرفث : الجماع والفحش من القول .

(4) سورة البقرة : الآية 197 .

(5) المراء : الجدال .

(6) الجريد : التعرية من الثياب .

(7) فغض طرفك : اخفض عينك وأغمضها .

الناس ، فإنه بلغني عن إبن مسعود أنه قال : السلام إسم من أسماء الله وضعه فيكم فافشوه فيكم ، فإن الرجل إذا أسلم كتب له عشر حسنات ، أدب ولدك ومن وليت أمره على خلقك وأدبك حتى يتأدبوا على ما أنت عليه ، فيكون لك عونا على طاعة الله ، فإنه بلغني عن إبن مسعود أنه قال : " كل مؤدب يحب أن يؤخذ بأدبه ، وإن أدب الله هو القرآن ، وإذا استشارك أحد فإن شئت تكلمت ، وإن شئت سكت ، واجتهد رأيك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " المستشار بالخيار ، إن شاء تكلم وإن شاء سكت ، لا تفش على أحد سرا أفشاه إليك ، فإنما هي أمانة أستودعكها وأتمنك عليها ، إلا أن يكون إفشاؤه خيرا له في دنياه وآخرته فأفشه عليه وانصحه فيها (1) فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من حق المسلم على المسلم إذا استنصحه أن ينصحه " إذا تعلمت علما من طاعة الله فلير عليك أثره ولير فيك سمته (2) وتعلم للذي تعلمه ، وتعلم له السكينة والحلم والوقار ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " العلماء ورثة الأنبياء " رد جواب الكتاب إلى كل أحد كتب إليك ؟ فإنما هو كرد السلام ، قال عز وجل : " وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها "(3) وقال إبن عباس رضي الله عنهما - أرى

---

(1) فيها : الضمير يعود على " أمانة " .

(2) سمته : أثره وعلامته .

(3) سورة النساء الآية 16 .

رجع الكتاب علي حقا كما أرى رجع السلام ، ألزم الحياء فإنه خلق الإسلام وإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ولكل شيء خلق ، وخلق الإسلام الحياء " إذا سافرت فقل : " اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر " (1) فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه يقول ذلك إذا سفر ، وإياك وظلم الضعيف ومن لا يستعين عليك إلا بالله ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ثلاثة لا ترد دعوتهم : الإمام العادل ، والصائم حتى يفطر ، ودعوة المظلوم ، فإنها تصعد فوق الغمام فيقول الله لها : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين " إذا ودعت مسافر فقل : زودك الله التقوى ، وغفر لك ذنبك ، ويسر لك الخير حينما كنت ، أستودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر بها أصحابه ، إذا حضرت أمرا ليس لله ولا تقدر على أن تدفعه فقم عنه ولا تقعد ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يمنعن أحدكم مخافة الناس أن يقول الحق إذا شهده أو علمه " ألزم السواك (2) فإنه سنة ، فإن بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " السواك من سنن المرسلين " أفش الصدقة فإنها تدفع ميتة السوء ، وليكن ذلك من أطيب مالك ، فإن الله تعالى لا يقبل إلا الطيب ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

---

(1) وعثاء السفر : مشقته .

(2) السواك : العود الذي ينظف به الفم والأسنان

" إن أحدكم ليتصدق بالتمرة إذا كانت من طيب ولا يقبل الله إلا الطيب - فيجعلها في كفه فيربيها له كما يرى أحدكم فلوه أو فصيله (1) حتى يكون في يده مثل الجبل " إذا نزلت بك كربة من كرب الدنيا فليكن مفزعك فيها إلى الله عز وجل حيث تنزل بك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ينزل بعبد قط أمر كان مفزعه فيه إلى الله إلا فرج الله عنه " .

لا تضطجع على بطنك إذا نمت ، ولا في غير نومك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إنها الضجعة يبغضها الله " أوف بالعهد إذا أعطيته من نفسك لكل أحد ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " أحق ما أوف به عهد الله " إذا حضرت السلطان فاشفع بخير ، وإياك والكلام عنده إلا بما يرض الله ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله مايظن أنها تبلغ ما بلغت يكتب له بها سخطه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أنها تبلغ بلغت يكتب له بها رضوانه إلى يوم القيامة " أرد ما أردت به الله ما استطعت فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " صدقة السر تطفى غضب الرب " أتق كثرة التزكية لنفسك أو ترضى بها أحد يقولها لك في وجهك ، فإنه بلغني أن رجلا امتدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسم فقال : "

---

(1) فلوه وفصيله : الفلو هو المهر والفصيل ولد الناقة إذا فصل عن أمه .

ويحك قطعت عنقه ، ولو سمعها ماأفلح أبدا " إياك ومدح الناس و الثناء عليهم في وجوههم فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " احثوا التراب في وجوه المدحين " طهر ثيابك ونقها من معاصي الله تعالى - فإنه بلغني أن قوله تعالى : " وثيابك فطهر " (1) يأمره أن لا يلبسها على عذرة (2) واكره لكل أحد ماتكرهه لنفسك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه بايع جريرا البجلي على الإسلام والنصيحة لكل مسلم " وإياك والحسد والشرة (3) فإنه بلغني أنهما خلقان مرديان (4) لصاحبهما في الدنيا والآخرة ، وقال صلى الله عليه وسلم : " لا تحسد إلا في إثنين : رجل آتاه الله مالا وسلطة على إنفاقه في الحق ، ورجل آتاه الله حكمة ، فهو يقضي (5) بها ويعلمها " إقتد في أمور برأي ذوي الإنصاف(6) من أهل التقوى ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " خياركم شبانكم المتشبهون بشيوخكم وشراركم شيوخكم المتشبهون بشبانكم " ، لا تحتكر (7) أحدا ولا تجالس مأبونا (8) فإن الوحدة خير من جليس السوء عليك

---

(1) سورة المدثر الآية 4 .
(2) الغدرة : الغائط الذي يخرج من الإنسان .
(3) الشره : شدة الطمع وغلبة الحرص .
(4) مرديان : مسقطان ومهلكان .
(5) يقضي : يحكم .
(6) ذوي الإنصاف : أصحاب العدل .
(7) لاتحتكر : لا تسيئ العشرة .
(8) مأبونا : منحرفا في سلوكه ، معيبا في أخلاقه .

بمعالي الأخلاق وكريمها واتق رذائلها وماسفسف (1) منها ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إن الله يحب معالي الأخلاق ، ويكره سفسافها " إذا رأيت من فضلت عليه في دينك ودنياك فأكثر حمد الله عليه (2) فإن ذلك من الشكر ، فإنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ماأنعم الله على عبد بنعمة فقال : " الحمد لله إلا كان ذلك أعظم من تلك النعمة وإن عظمت " ، لا تركب الميثرة (3) الحمراء ، ولا تلبس المعصفر (4) فإنه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه نهي عن ذلك ، إذا عضبت وأنت قائم فاقعد ، وإن كنت قاعدا فاضطجع ، فإنه بلغني ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لاتتطيرن (5) من شيء تراه أو تسمعه ، وإذا كان من ذلك شيء فقل : اللهم لا يأتي بالخير إلا أنت ولا تدفع السوء إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فإنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأمر بذلك لمن رأى من ذلك شيئا ، لا تتوضأ بشيء مما يأكل من الطعام ولا تدلك به في

---

(1) سفسف : حقروردئ .

(2) عليه : الضمير يعود على الله .

(3) الميثرة : جمع مع مواثر ومياثر ، شيئ كالمرفقة أو المخدة يجعل فوق السرج ، وقال أبو عبيد " وأما المياثر الحمر التي فيها النعي فإنها كانت من مراكب الأعجام من ديباج وحرير .

(4) المعصفر : الثوب المصبوغ باللون الأصفر .

(5) البطير : التشاؤم .

الحمام فإن ذلك من الجفاء (1) ، لا تتخلقن بالخلوق (2) إلا أن يكون في أثر النورة (3) ليذهب ريحها ، فإنه قد بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " بينما رجل في بردتين له متخلق يتبختر فيهما إذا ساخت به الأرض، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة " لا تعيرن أضفارك الحمام ولا يديك إذا دخلت المحام ، فإنه ليس من سيمى (4) أهل الفضل ولا تحلف بالطلاق ولا بالعتق ، فإنها (5) من إيمان الفساق ، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى أنه قال : " أربع جائزة إذا تكلم بهن : " الطلاق ، والعتق ، والنكاح والنذر وأربعة يمسون والله عليهم ساخطا ويصبحون والله عليهم غضبان المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال، ومن أتى بهيمة (6) أو عمل عمل قوم لوط " ، لا تتطيبن بشيئ من الطيب يظهر لونه ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " طيب الرجال مابطن لونه وظهر ريحه ، وطيب النساء ماظهر لونه وبطن ريحه " ألزم الرأي الحسن والهدي الحسن والإقتصاد ، فإنه بلغني عن إبن عباس رضي الله عنهما أنه

---

(1) الجفاء : ضد البر ، وهو العقوق والغلظة.

(2) الخلوق : بفتح الغاء ، نوع من الطيب أعظم أجزائه الزعفران .

(3) النورة : حجر الكليس ثم على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنيخ وغيره ويستعمل لإزالة الشعر .

(4) السمي : العلامة .

(5) فإنها : الضمير يعود على اليمين المفهومة من سياق الكلام .

(6) أتى بهيمة : نكحها .

قال : الرأي الحسن جزء من خمسة وعشرين جزءا من النبوة ، وإن استطعت أن لا تدع العمامة والبرد في العيدين والجمعة فافعل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يلبس العمامة والبرد في العيدين والجمعة ، وقال : " إن الله تعالى أعز الإسلام بالعمائم الأولوية " إذا طلاك أحد بالنورة فبلغ المراق (1) فلا يلى ذلك منك إلا نفسك ومن يحسن ذلك من نسائك ، فإنه بلغني عن بعض العلماء أنه كان يلي ذلك من نفسه ، لا بأس أن تغتسل بماء الحمام وأنت جنب وتصلى ، فإنه بلغني عن إبن عباس أنه سئل عن الجنب يغتسل في الحمام فقال : إن الماء لا يجنب ، وإذا تنخمت في المسجد فادفنه (2) فإنه بلغني عن بعض العلماء أنه قال : هي خطيئة وكفارتها دفنها ، إذا نمت فقل عند منامك : اللهم أنت القائم الدائم لا تزول ، خلقت كل شيء لا شريك لك ، علمت كل شيء بغير تعليم ، اغفرلي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ألا قلتم كما قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو الذي قال ذلك ، إذا أتيت الحاجة(3) فلا تستقبل القبلة بفرجك ولا تستدبرها ، ولا تستنج بيمينك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يأمر أصحابه أن لا يستقبلوا القبلة ولا يستنجوا بأيمانهم ، ولا

---

(1) المراق : مارق من الحسدولان ،مفرده مرق .

(2) إذا كان المسجد غير مفروش وأرضه من تراب ، أما إذا كان مفروشا قدفن النخمة يكون في منديل المتنخم أو في ثوبه

(3) أي : لقظاء الحاجة ، وهو كناية عن إفراغ ما في البطن من عشره وبول .

يستنجوا بعظم ولا روث ، إذا انصرفت من الصلاة فقل : اللهم أنني أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله ما علمت منه وما لم أعلم ، اللهم أسألك من الخير ما سألك عبادك الصالحون ، وأعوذ بك من الشر ما عاذ منه عبادك الصالحون ، اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار (1) " فإنه بلغني عن إبن مسعود أنه قال ما دعا مرسل ولا عبد صالح بشيء حسن إلا هو فيه يعني في هذا الدعاء ، لا تشتم عبدا لك ولا أمة بزنى ، فإن بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من قذف أمة أو حرة أو يهودية أو نصرانية فلم يضرب في الدنيا ضرب يوم القيامة ثمانين جلدة " ، إذا كنت مسافرا أو مقيما فامسح - إن شئت - على خفيك (2) إن كنت مسافرا ثلاث أيام ولياليهن ، وإن كنت مقيما فيوما وليلة ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ذلك وعمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلي بن أبي طالب وابن عباس رضوان الله عنهم ، قالوا ذلك .

إذا صافحك أحد فلا تنزع يدك عن يده حتى يكون هو الذي ينزع يده عن يدك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم يصافح أحدا فنزع يده حتى يكون هو الذي ينزع يده ،

---

(1) سورة البقرة الآية 301 .

(2) واحده خف ، وجمعه خفاف ، وليس المسيح على الخفين بواجب ، وإنما هو رخصة ، وقد ذكرت وفصلة في كتب الفقه ، فلتنظر هناك ، وقد اشتعنا الحديث عن هذا الموضوع في كتابنا : الطهارة في ميزان الإسلام .

إذا أقبل عليك رجل بوجهه يحدثك فلا تصرف وجهك عنه حتى يكون هو الذي يصرف وجهه عنك وإذا جلست إلى جنب رجل أو جلس إلى حنبك رجل فلا تقومن من بين يديه ولا تجاوزن ركبتك ركبته ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لم تتجاوز ركبته ركبة جليس له ، وإذا أحسست من أمير ظلامة(1) أو تغطرسا (2) فقل : الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر أعز من خلقه جميعا ، الله أكبر مما أخاف وأحذر ، وأعوذ بالله الممسك المساء أن تقع على الأرض إلا بإذنه من شرفلان ، الله كن لي جارا من فلان وجنوده أن يفرط (3) علي أحد منهم أو يطغى جل جلالك ، وعز جارك ولا إله غيرك ، تقول ذلك ثلاث مرات ، فإنه بلغني عن إبن عباس رضي الله عنه قال ذلك ، وأمرنا به ، إذاكتبت إلى أحد من غير أهل الإسلام فلا تكتبن سلام الله عليك " ولكن أكتب " السلام عل من إتبع الهدى " ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كتب ذلك إلى مسيلمة (4) ، إذا عطست في الخلاء (5) فاذكر اسم الله خفيا ، لا تدهن في مدهن ذهب ولا فضة ، ولا تستجمر في مجامر

---

(1) ضلامة : إسم لما أخذه الظالم منك ولما طلبته أنت منه .

(2) التغطرس : التعضب والتكبر والإعجاب بالنفس .

(3) يفرط : يعتدي ويظلم .

(4) مسيلمة : هو رجل من بني حنيفة في " اليمامة " إدعى النبوة ، فهزمه عكرمة بن جهل وانتصر عليه في معركة " عقرباء " التي عرفت بـ " حديقة الموت " وتوفي مسيلمة الكذاب سنة 13 هـ - 633 م .

(5) الخلاء : مكان التغوط .

الذهب والفضة ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن الشرب في إناء الذهب والفضة ، لاتنم على الحرير والديباج (1) ، فإنه لبسة النساء ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن لبس الحرير والديباج إلا للنساء ، إذا رأيت أمرا في أهلك وخاصتك مما ينبغي تغييره فلا تحابين منهم أحد ، وقم فيه بالذي يحق عليك ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " انصر أخاك ظالما (2)أو مظلوما " إذا هممت بأمر من طاعة الله - عز وجل - فلا تحسبه إن استطعت فوقا (3) حتى تمضيه ، فإنك لا تأمن الأحداث ، وأذا هممت بأمر ذلك فإنه استطعت أن لا تمضيه فوقا فافعل ، لعل الله - تعالى - يحدث لك تركه ، لاتستحي إذا دعيت لأمر ليس بحق أن تقوله : لا ، فإن الله تعالى يقول: " والله لا تستحي من الحق (4) " ، إذا سمعت المؤذن يؤذن فقل كما يقول إلا أنك إذا قال " حي على الصلاة ، حي على الفلاح قل : لاحول ولا قوة إلا بالله ، فإنه بلغني ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، لا تخلون بإمرأة ليست لم بمحرم ، فإنه بلغني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : ماخلا رجل

---

(1) الديباج : فارسي معرب ،جمعه ديابيج ، وديابيج وهو الثوب الذي بسداه ولحمته من خالص الحرير .

(2) أي تمنعه عن الظلم .

(3) فوقا : ما بين الجلبتين من القت ، وجمعه أفوقة ، وفي النص كناية عن التعجيل بفعل الخير .

(4) سورة الأحزاب الآية 53 .

بإمرأة ليست لك بمحرم إلا كان ثالثهما الشيطان ، إذا قال الإمام " آمين " فقل : آمين فإنه بلغني إذا ينبغي إذا فرغ من أم القرآن أن يقول : "آمين " ويقول من خلفه يسرا ولا يجهر به، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا أمن الإمام فأمنوا ، فإن الملا ئكة تؤمن لتأمين الإمام ، فمن وافق منكم تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه " ، إذا قضيت الحاجة فلا تبدأ بشيء حتى تغسل فرجك بالماء ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه قال لأهل مسجد " قباء " إنما نزلت هذه الآية فيكم ، " فيه رجال يحبونه أن يتطهروا والله يحب المطهرين " (1) .

فأنبئوني ماهذا التطهير الذي ذكرتم به ، فاثبتوا عليه " قالوا : والذي بعثك بالحق نبيا ما منا إمرأة ولا رجل يأتي الخلاء ، فيبدأ بشيء دون غسل فرجه بالماء ، إذا أكلت طعاما فعلق بين أصابعك فالعقها ، وأسنانك فتخلل ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ليس أشد على الملك من أن يرى في الرجل طعاما وهو يصلي " إذا نزلت منزلا فقل : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ، فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " من نزل منزلا فقال هذه الكلمات وقي شر منزله حتى يرحل منه " لا تأكل شيأ من ثمن طعام لا يحل لا أكله ، ولا شيئا من ثمن شراب لا يحل لك شربه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم في الخمر : " إن الذي

(1) سورة التوبة الآية 107 .

حرم شربها حرم ثمنها " ولا تدلو (1) بشيء لا يحل أكله ولا شربه ، ولا تبعه ولا تشتره ، ولا تطعمه ولا تطعمه أحدا ولا تستقيه ، ولا تداو به أحدا صغيرا كان ولا كبيرا ، ولا بهيمة ولاغيرها فإنه بلغني عن بعض علماء الصحابة أنه نعت لبعير به خمر (2) فقال : لا ، والله لا أجره خمرا ، لا تأكل لحم شيء من السباع ولا ذي مخلب من الطير ، فإنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن أكل ناب من السباع ، إذا فزعت في مناكل فقل أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه ، ومن شر عباده ومن شر الشياطين ، وأن يحضرون (3) فإنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا فزع أحدكم في منامه فليقل ذلك " ، إذا قلت لأحد أقسمت عليك لتفعلن فلم يفعل الذي أقسمت عليه أن يفعله ، وجب عليك الحنث وكفر عن يمينك (4) ، وكذلك إن قلت له أحلف عليك أو أشهد عليك لتفعلن فلم يفعل ، وجب عليك الحنث ، وكذلك إذا كنت وقت له وقتا معلوما فتركه حتى جاوز الوقت ، لا تبدأن أحدا من غير أهل الإسلام بالسلام ، لكن لو سلم هو فقل : وعليكم (5) ، فإنه بلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم - أمر بذلك لابأس

---

(1) ولاتدلو : لا تتقرب ، ولا تستشفع ، ولا تتوسل .

(2) خمر: نائب فعل لـ "نعت" .

(3) فيه إشارة رلى قوله تعالى : " أعوذ بك رب أن يحضرون" سورة المؤمنون الآية 298 .

(4) تقدم لنا ذكر معنى التكفير عن اليمين ومقداره .

(5) وعليكم : أي وعليكم ما يتموه وماتستحقونه .

أن تأكل جنبا وإن كنت لم تتوضأ، إذا غسلت يديك ، لا تقل لأحد صلى الله عليك ، فإنه بلغني عن إبن عباس رضي الله عنه قال : لا تنبغي الصلاة من أحد لأحد إلا للنبي عليه السلام وتقل لأحد : جعلني الله فداك ، فإنه بلغني أن الزبير إبن العوام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ذلك وهو مريض ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : " ماتركت أعرابيتك (1) بعد " وبلغني عن بعض العلماء أنه قال : لا يفد أحد أحدا ، لا بأس بمصافحة الجنب ومباشرته ، فإنه بلغني عن إبن مسعود أنه قال: أربعة ليس عليهم جنابة : الأسنان ، والماء ، والثوب والأرض لا بأس بمصافحة اليهودي والنصراني والصلاة في بيوتهم لا تبلغ بشيء من أدبك - إذا أدبت وعاقبت أحدا على جرم اجترمه أربعين سوطا ، قال صلى الله عليه وسلم : " من بلغ حدا في غير حد (2) فهو من المعتدين " إذا أحببت أحدا لله فاعلمه ، لما قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم : إني أحب فلانا لله ، قال " أما أخبرته " قال :لا قال : " فأخبره " فلما أخبره قال : أحبك الله الذي أحببني له ، لا تشفع فيمن وجب عليه حد من حدود الله إذا انتهى إلى الإمام (3) ولا تحل دونه ولا بأس أن تشفع قبل ذلك ، قال ذلك بعض علماء الصحابة وتشفع في سارق فقيل له : أتشفع فيه وأنت من الصحابة ؟

---

(1) أعرابيتك : أي تجاهليتك .

(2) أقل الحد الشرعي في الضرب أربعون سوطا وأكثره مائة.

(3) الإمام : هو الحاكم والسلطان .

فقال : لا بأس به قبل أن يبلغ الإمام فإذا بلغه فلا عفا الله عنه إن عفا عنه ، ألزم الصمت قال النبي صلى الله عليه وسلم " لا يستكمل الرجل الإيمان حتى يخزن لسانه " وإذا أتيت قرية أو بلدة فقل : اللهم أرزقنا خيرها ، واصرف عنا وباءها ، فإنه كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذلك إذا أدنا من قرية ، إذا عطست فقل : الحمد لله ، فإن قال قائل : يرحمك الله فقل غفر الله لنا ولك ، وإن عطس عندك مسلم فقال الحمد لله فقل : يرحمك الله ، فإنه كان على بن أبي طالب رضي الله عنه يقولها لمن عطس ويقول (1) ذلك يهديك الله ويصلح بالك ، وكان إبن مسعود يقول لمن عطس : يرحمنا الله وإياكم ، ويقول ذلك يغفر الله لنا ولك، ولا تشمته (2) حتى يحمد الله ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من حق المسلم إذا عطس أن يشمت إذا حمد الله " وقر الكبير وارحم الصغير ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا " لا تصافح إمرأة ليست لك بزوجة ولا ملك يمين ، ولا تضع يدها على شيئ من جسدك ، ولا تضع يدك على شيئ من جسدها ، ولا تقبل يدك ولا شيئا من جسدك ، ولا تعانق رجلا، ولا تقبله إن كان ليس بذي رحم لك ، واصنع ذلك بذي رحمك ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم ضم جعفر بن أبي طالب حين قدم

---

(1) ذلك : العاطس .

(2) التشميت : الدعاء للعاطس ، وكل داع بخير فهو " مشمت " ومشمت بالشين المهملة أيضا .

من الحبشة إلى نفسه (1) ، وقبل بين عينيه ، ولا ترفع صوتك في مسجد جماعة (2) ، ولا تشهر فيه سلاحا ، فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه ، إذا دعيت إلى تحمل شهادة فإنك مخير فإن شئت شهدت ، فلا يسعك الإمتناع إذا دعيت إلى الأداء لا تمتن على أحد بإحسانك ، فإنه يبطل أجرك ، قال عز وجل : " لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى (3) " ومن أولاك معروفا وعجزت عن مكافأته فأثن عليه واذكره له ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من أولي معروفا فلم يقدر على مكافأته إلا بالثناء فقد شكره ومن كتمه فقد كفره (4) " إذا طعمت وعندك أحد فادعه ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن في الجنة عرفا يرى ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها " قيل : لمن هي ؟ قال : " لمن أطعم الطعام ، وتابع الصيام ، وطيب الكلام ، وصلى بالليل والناس نيام " إذا عملت عملا لله فأحسنه ، لقوله تعالى : " ليبلوكم أيكم أحسن عملا " (5) لا تعجل على أحد بعقوبة ، ولا تتهمه حتى تحققه (6) ، لا تأت(7) أهلك أو جاريتك وغيرها يراك أو يسمع حسك ، قال

---

(1) نفسه : صدره .

(2) في مسجد جماعة : يصلي فيه جماعة .

(3) سورة البقرة الآية 264 .

(4) كفره : جحده وأنكره .

(5) سورة هود الآية 8 . سورة الملك الآية 3 .

(6) تحققه : تتحقق من التهمة وتصير على يقين منها .

(7) لاتأت : لا تطأ .

النبي صلى الله عليه وسلم : " استحيوا من الله حق الحياء " قالوا كيف تستحي من الله حق الحياء ؟ قال احفظوا الرأس وما حوى ، والبطن وماعوى ، وذكروا الموت والبلاء ، وذرو زينة الحياة الدنيا " إذا أصبحت فقل : " اللهم لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك لك الملكولك الحمد ، لاشريك لك " عشر مرات قال النبي عليه الصلاة والسلام : " من قالها عشر مرات حين يصبح وكل به ملكان يحرسانه حتى يمسي ، وإذا قالها ليلا فكذلك حتى يصبح " إذا كنت في العيدين والجمعة ويوم عرفة فاغسل ، وإن توضأت أجزأك ، سأل رجل عليا عن الغسل فقال : للجمعة والعيدين وعرفة ، إذا أريت الهلال فلا تستقبله حتى تدعوا ، وقل الله أكبر ، الله أكبر ، الحمد لله ، أسألك من خير هذا الشهر وأعوذ بك من شر القدر ، وشر يوم المحشر لا تؤمن أحد في بيته ولا سلطانه إلا بأذن لك ، وذلك أنه بلغني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لا يؤمن الرجل الرجل في بيته ولا في سلطانه ، إلا بإذنه ولا تحب من الناس أن يمثلوا لك قياما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: " من سره أن يمثل ابن آدم قياما وحببت له النار " أجب الدعوة إذا دعيت ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " الدعوة يوم العرس حق " وقال : " لو دعيت إلى كراع (1) لأجبت " إذا حلفت على شيئ وحلف والداك أو أحدهما على خلافه

(1) الكراع : هو من البقر والغنم بمنزلة الوظيف من الفرس والبعير ، وهو مستدق الساق.

فأطعمهما ما لم يكن معصية ، إحتجم في سبع عشر وتسع عشر وإحدى وعشرين فإنه أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك إذا عدت مريضا فأخف وأقل اللبث ، إذا مررت بالمقابر فقل :" السلام عليكم ورحمت الله تعالى وبركاته أهل الدار المؤمنين المسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم لا حقون أنتم لنا فرط (1) ، ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية (2) لا بأس أن نمشي أمام الجنازة ، فقد مشى النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر بن الخطاب وعبد الله بن عمر أمامها ، وإذا كنت راكبا فلا تسبقها ولا تنزل حتى توضع عن عواتق الرجال ، فإنه بلغني عن بعض الصحابة ، لا تنفخ في الطعام والشراب ، فإنه جفاء ، قاله بعض العلماء ، إرفع يدك في عشرة مواطن : إذا دعوت عند افتتاح الصلاة والعيدين والتكبير ، وعند استلام الحجر وعرفة وجمع (3) والصفا والمروة والجمار ، روي ذلك عن إبن عباس ، وعند افتتاح الصلاة والقنوت والعيدين ترفعهما حتي تحاذي إبهامك وتبسطها عند صدرك في باقي ذلك ، لا تلعب بالنرد (4) ، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لعن اللاعب به ، وقال : " إياكم وإياه" لا تمضغ

---

(1) فرط : سابقون مقدمون .

(2) العافية : دفاع الله عن العبد .

(3) وجمع : المزدلفة .

(4) النرد : لفظه فارسية المنزع ، وهي عبارة عن جوالق واسع لأستقل محروط الأعلى ، تتخذ من حوض النحل ، بل هي لعبة وضعها أحد ملوك الفرس ، وهي معروفة عند العامة بـ " لعبة الطاولة " .

العلك ، ولا تحلل إزارك ، ولا تجرد(1) ، ولا تحذف (2) ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إنها من أخلاق قوم لوط " أجمع الصوام عند فطرك على طعامك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " من فطر صائما كان له مثل أجره ، ولا ينقص من أجر الصائم شيء ".

" واعلم رحمك الله أن الله تعالى - خصك من موعظتي بما نصحتك ، وأنهيت إليك منه ماأرجو أن يكون سعادة لك وسببا إلى الجنة ، فليكن منك فيما كتبت إليك من القيام بأمر الله تعالى واتباع ما هو أهله ما ترجو به القربة عند الله تعالى - ولا تكن ذلك مما تظلف (3) عنه نفسك وتعاهدها بالأخذ والتأديب عليه إن شاء الله - حتى توقفها على الذي لا ينبغي لك التقصير بها عنه - إن شاء الله تعالى -

والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب (4) .

---

(1) التجرد : التعرية من الثياب .

(2) الحذف : هنا - الرمي بالعصا أو الحجر أو مشي بخطي متقاربة ، يقال حذف في مشيته إذا تدانى خطوه .

(3) تظلف : تكف .

(4) إن مما يزيد في شأن هذه الرسالة ويرفع من قدر كاتبها ويجعلها خالصة لله وحده ، أنها لم تصدر بعبارات الدعاء والمدح والتعظيم والتبجيل ولم تختم بذلك ، مثلما صدرت وختمت رسائل العلماء وكتبهم إلى الملوك والحكام والرؤساء والوزراء .